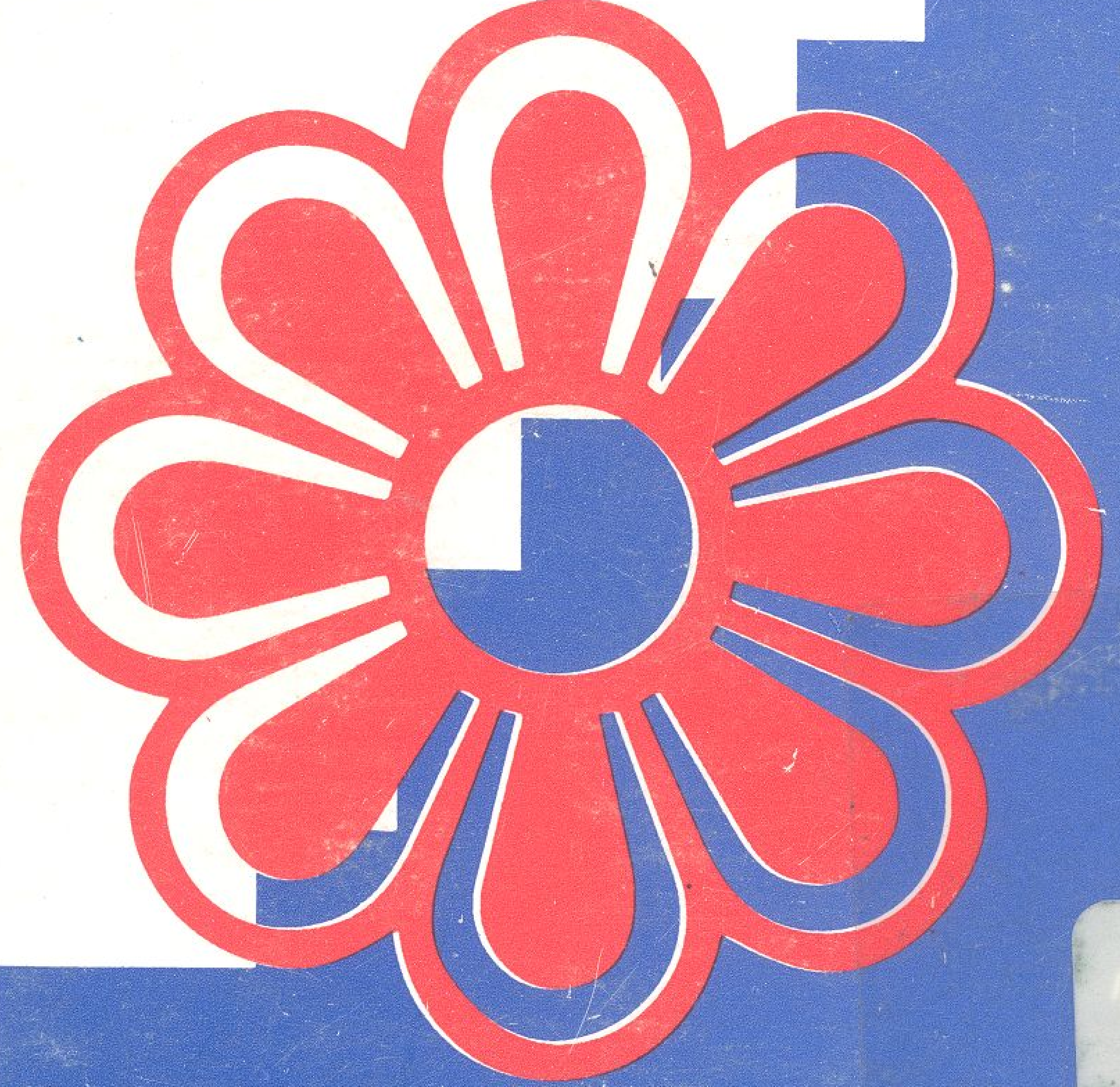
المجلس الأعلى للثقافة

# أمر إدارى

## قصص قصيرة



بقلم

د محمود الزيات



# ( أمـــــر إدارى )

## قصص قصيرة

بقلم : محمد محمود الزيـــات

# « بسم الله الرحمن الرحيم »

« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »

« صدق الله العظيم »

# إهـــــــداء

إلى روح الشهيـد

يوسف السباعي

( رحمه الله )

## - ٧ -
## هَـــدَّاف

بنظرة سريعة خاطفة ، رصد « شيكو » رد فعل حامل الراية ... فوجد يده قد تدلت ساكنة إلى جواره ، ممسكة بعصا الراية ، منكسة إياها ، بلا نية ، أو شبه نية فى أن يرفعها يعلن تسلله وبنظرة هى لمح البصر .. مسح الملعب خلفه .. ووجد أن أقرب لاعب إليه من الخصوم ، يبعد عنه عدة « ياردات » تزيد عن العشر .

لقد ارتدت اللعبة ارتدادا لم يكن بالحسبان .. ولا حتى حسبانه هو .. كان الجميع فى نصف الملعب الآخر ... وكان فريقه محاصرا حصارا مخجلا أمام مرماه ، حيث يقوم أفراد الفريق الخصم بمحاولات مستميتة لغزو مرماهم فى هجوم لا يعرف اللين ولا الهوادة .. كأمواج بحر هائج تهاجم شطئان بر جامد .. ما تكاد تنحسر ، الهجمة إلا لتبدأ من جديد .

كان الموقف حرجا .. وكانت كل الظروف ، حقيقة صعبة .. فالمباراة مقامة على ملعب الخصم .. وبعد الشقة بين ملعب فريقه - الذى يقع بالعاصمة - وبين ملعب الخصم الذى يقع فى إحدى المدن الساحلية البعيدة .. وكتلة الهواء الباردة المثلجة التى تمر بالبلاد هذه الأيام .. والبث المباشر لأحداث المباراة « بالتليفزيون » .. وما هو معروف عن جمهور هذه المدينة الساحلية من تعصب أعمى لفريقه يقارب حد الهوس المجنون ... كل هذا .. جعل الغالبية العظمى من مشجعى فريقه ، تؤثر السلامة ، وتحجم عن المخاطرة بالذهاب خلف فريقها كعادتها .

كان الزئير الصاخب يفكك الأوصال .. وكانت الهتافات الحماسية ، تعمل عمل السحر فى نفوس اللاعبين — كل حسب وقع الهتافات على قلبه ووجدانه — فالفريق الخصم يلعب كما لو كان « ريال مدريد » زمانه ، أما فريقه فقد تبعثرت خطوطه ، وطاشت رمياته وانكمش أفراده كما لو كان فريقا من الأشبال حديثى العهد بالملاعب .

لم يتبق على نهاية المباراة سوى ثوان معدودات .. وإذا انتهت بهذه النهاية الجدباء — التعادل بدون أهداف — ستضيع بطولة الدورى لهذا العام ، ويضيع معها مجلس إدارة النادى فى الانتخابات التى ستجرى معركتها خلال الأيام القليلة القادمة ، وحتما سيتبع هذا تغيير الجهاز الفنى للكرة بأكمله ، هذا الجهاز الذى يديره هؤلاء الأغبياء الحمقى ..

لقد تركوه جالسا بين احتياطى الفريق طوال الشوط الأول ، وهو ما هو .. رئيس الفريق وهدافه .. حتى كادت أطرافه أن تتجمد من طول الانتظار .. وعندما بدأ الشوط الثانى بدونه ، كاد أن يبكى من شدة الغيظ .. لقد أمضى أكثر من ساعة وربع ، وهو يتوقع وينتظر بين لحظة وأخرى ، أن يلتفت إليه المدرب الأجنبى المتغطرس ، مصدرا تعليماته له بأن يقوم ليبدأ عملية التسخين والإحماء .. لكنه لم يفعل .. ولولا تصاعد هتافات بعض من المشجعين القلة الذين تبعوا فريقهم منادين .. شيكو .. شيكو ... لما فكر المدرب فى الاستعانة به ، ولظل جالسا هناك على « دكة » الاحتياطى يرتعد من شدة البرد والغيظ معا .. لقد ضاعت هتافاتهم التى انطلقت على استحياء فى هذا الحشد الزاخر وفى وسط هذا الزئير المدوى .. ولكنه كان يسمعها جيدًا ، وكانت تخفف

عنه حالة الغيظ اليائس التى سيطرت عليه ، كذلك سمعها الجهاز الفنى وتجاهلها ، ولكنها تصاعدت وتعالت حتى أصبح تجاهلها نوعا من العناد الأخرق ... تهامسوا .. تناقشوا .. ثم طلبوا منه أن يقوم ليبدأ فى الإحماء تمهيدا لنزوله إلى الساحة الخضراء . كان من الواضح أنهم قاموا بالتغيير على مضض . لا لشئ إلا لمجرد إبراء ذممهم .. فإن صابت فبها ونعمت . وإن خابت فهم لم يبخلوا بأى جهد ، حتى ما طالبت به الجماهير .. نفذوه لها . إنه يعرف الأفكار العقيمة التى يتبناها جهاز الكرة ، والتى غرسها المدرب الأجنبى فى نفوسهم منذ تولى تدريب الفريق .. إنه يريد فريقا من الشباب .. الخبرة لا تهم كثيرا .. فخبرة المدرب وقيادته تكفى .. المهم هو الشباب .. فالشباب هو العطاء بلا حدود .. هو الكر والفر طوال تسعين دقيقة بلا هوادة وبلا راحة ... وهكذا رفع لواء تجديد الدماء وبث الحيوية والشباب فى صفوف الفريق .. وهكذا ساءت نتائجه .. وبعد أن كانت بطولات الدورى محجوزة للنادى على الدوام وقبل نهاية الموسم بعدة مباريات ... ها هو الآن وحتى آخر مباراة فى الدورى ... على كف عفريت .. ليت مباراة اليوم تنتهى بالتعادل فعلا .. فرب ضارة نافعة ...

كان شيكو يقف قرب دائرة منتصف الملعب ...وكانت الكرة تتهادى أمامه ، مبتعدة عنه ... ترتطم بالأرض لترتفع عنها .. ثم تعود لترتطم بها من جديد فى متوالية يتناقص فيها ارتفاع الارتداد والمسافة بين كل نقطتى ارتطام وزمن تحليق الكرة فى الهواء .

انطلق كفهد جائع عثر على بغيته من صيد شهى بعد طول ترقب وانتظار .. لحق بالكرة .. سيطر عليها كعادته .. دفعها دفعة خفيفة

بباطن قدمه اليمنى كما لو كان يربت عليها ، وتبعها كما لو كان يحتضنها ..
واتخذ طريقا مستقيما مباشرا نحو المرمى والحارس المسكين ..
إن الأمر لم يستغرق أكثر من خمس ثوان على أكثر تقدير .. فهذه
ليست المرة الأولى .. ولن تكون الأخيرة .. فهو يعرف طريقه جيدا ..

ران على الملعب صمت كصمت القبور ، كما لو كان المكان قد
تحول برمته إلى « جبّانة » كبيرة .. وكما لو كانت الجماهير الغفيرة التى
تزدحم بها المدرجات قد تحولت إلى شواهد لتلكم القبور .

هيا أيها الحارس .. هيا .. إننى أعرف أنك تارك مرماك الآن ، لتندفع
نحوى بكل الشراسة والعنف محاولا عرقلتى بأية طريقة والتشبث بى بأية
وسيلة قبل أن أتقدم بالكرة أكثر من هذا ... فالعرقلة هنا والخطأ هنا —
خارج منطقة المرمى — مهما كان .. جزاؤه ركلة ثابتة .. وهى ليست
بالشيئ الخطير ... أعرف أنك فاعل هذا .. هيا .. تعال ... اندفع الحارس
نحوه كالقذيفة ، وألقى بثقل جسده كله عليه ، محاولا الإمساك به من أى
مكان تطوله يداه .. ولكنه لم يعثر له على أثر ..

غمز « شيكو » الكرة ببوز الحذاء إلى أحد جانبى الملعب ، فى مكان
لم يتوقعه الحارس ، وزاغ منه بخفة ومهارة ، وبقفزة واحدة ، ترك الحارس
خلفه ... اختل توازن الحارس وسقط على الأرض مضرجا فى فشله ..
وسمع « شيكو » سباب الحارس له يخرق أذنيه ، لكنه لم يأبه ولم يلتفت
بل انطلق على الفور نحو المرمى المفتوح على مصراعيه يدعوه مرحبا .. أسرع
يلهث خلف الكرة التى ما زالت سادرة فى دحرجتها فى الجانب الذى غمزها
فيه حتى لا تضيق عليه زاوية التسديد كثيرا ... لحق بها ...... قام

بتطويعها ..... وبالرغم من هرولة بعض لاعبى الخصم نحوه ونحو المرمى فى هلع بين .. إلا أن محاولاتهم ستذهب أدراج الرياح .. فالطريق أمامهم طويل . يمكنه الآن أن يصحح من مساره وينحرف قليلا ليصبح عموديا على المرمى ، ويقترب بعض الشئ ثم يسدد بكل قوته الكرة صاروخية تمزق الشباك وتمزق دعوى أن الشباب هو كل شيئ .

ويمكنه أيضا أن يسدد من هذه الزاوية الصعبة ، ويحرز هدفا سهلا .. فلقد أوتى من المهارة ما يجعله يحكم التسديد والتصويب من أوضاع أكثر صعوبة من هذا .. بل لقد سبق له وسجل أهدافا بضربات لولبية وهو بجوار المرمى وعلى نفس الخط والزاوية تكاد تكون صفرا .

أوقف الكرة وثبتها أمامه ... وخطر له خاطر سطع فى رأسه كوميض البرق .

أليس من الأفضل أن يهدر هذا الهدف هذه المرة ؟؟

ماذا لو ضاع الدورى هذا العام ؟؟

إن ضياع الدورى سيحسم نتيجة انتخابات مجلس الإدارة .. سيرحل هذا المجلس الكريه ، ويتوارى رئيسه البغيض .. ولا يهم الآن من سيأتى بعدهم .. المهم أن يرحلوا ويرحل معهم جهاز الكرة اللعين ... لكن هل سيغفر له جمهوره إن هو فعل ؟؟

قطعا سيغفر له ، عند إحرازه لأول هدف فى المستقبل سيغفر وينسى كل شئ .

سيحزنون قليلا .. ولكنهم كالعادة سيلتمسون له الأعذار ويختلقون له المبررات .. ثم فى النهاية يصبون جام غضبهم على جهاز الكرة الفاشل

والمجلس الذى يؤازره .

ولكن أليس إهداره لهذا الهدف بالذات فى هذه المباراة المصيرية وفى هذا التوقيت القدرى ، هو أكبر دليل على صحة رأى الجهاز الفنى ؟؟

إن إضاعته لهذه الفرصة هو إضاعة لهدية أرسلتها له السماء ، ليعيد إحياء وجوده على قمة لاعبى فريقه رغم أنف جهاز الكرة ، ورغم أنف هذا الطاووس الأجنبى ، دونما انتظار لما تأتى به الانتخابات ألا يكفيه أن يقال .. « شيكو » فى ربع ساعة فقط .. حصل على درع الدورى لفريقه ولكن الحصول على الدورى يعنى بقاء الجهاز والمجلس .. تبا لهما .. إن بقاءهما يعنى مواصلة اضطهاده لموسم آخر ..

آه .. آه .. إن إهدار هذه الفرصة وعدم التهديف ، هو بلا جدال ضياع من نوع آخر .. جمهوره .. أحبائه .. مريديه .. ما ذنبهم حتى يكسر خاطرهم ؟ .. وماذا جنت أيديهم حتى يملأ نفوسهم غما ونكدا ؟ ..

**لا شئ فى الدنيا يعدل مظاهرات محبيه وجماهير عشاق ناديه ... تخترق الشوارع ، رافعة علم النادى ..تهتف تارة باسم النادى وتارة باسمه هو.. منتشية .. نشوانه .. فالفوز فوزها .. والدرع درعها .**

**ولا شئ فى الدنيا يعدل البهجة والفرحة تغمران قلوب زملائه وهم يثبون ، يتعانقون ، يبكون كالأطفال .. ثملون بانتصار فريقهم .**

لا شئ يعدل هذا .. لا شئ .

سيحرز الهدف .. وليحدث ما يحدث .. ولكن لا بد أن يمزق الشباك .

انحراف قليلا .. واقترب كثيرا .

نظر إلى المرمى المفتوح .. ثم نظر إلى الكرة وبكل ما أوتى من قوة وبكل ما تراكم فيه من غل .. سدد .

وانطلقت الكرة كالقذيفة الملتهبة ، لتعلو المرمى الخالى وتتخطاه .. ولتستقر هناك .. فى أحضان المتفرجين .

## – ١٤ –

# القازمون ... والمقزومون

( إذا لم تفهم العنوان .. فأرجو أن تقرأ القصة أولا .. ثم تقرأ العنوان ... ويا حبذا لو قرأت القصة مرة ثانية )

كان كل عيبه أنه قصير القامة ، ولكن محاسنه كانت كثيرة ، فهو حاد الذكاء سريع البديهة قوى الذاكرة ، فصيح اللسان ، موفور الصحة ، قوى الشخصية .

وكان واثق النفس من أن هذه الصفات كفيلة بأن تجعله يتبوأ المكان الذى يرجوه لنفسه يوما ما .

فهو ما زال فى بداية الطريق . لقد أنهى منذ شهر دراسته الجامعية بتفوق يحسده عليه الجميع وها هو فى طريقه ليتسلم عمله فى مكان مرموق .

كانت الطرق جميعها مزدحمة ، والحركة بطيئة ولزجة ، وحاول أن يتجنب الطرق المزدحمة حتى عثر أخيرا على طريق شبه خال .

إن الطريق غير ممهد ووعر بعض الشئ والسير فيه صعب ولكن ماذا يهم إنه يحب الصعب الوعر ويستمتع بقهره والفوز عليه ، وها هو قد أصبح الآن بعد قليل من المجهود فى منتصف الطريق والباقى بالتأكيد لن يكون أكثر صعوبة .

وأبطأ صاحبنا السير قليلا ، فما هذا الذى يشاهده أمامه .. هل هذا معقول ؟ إنهم يمارسون لعبة الثلاث ورقات فى عرض الطريق . يا إلهى ألا

يوجد شرطى ؟ تساءل صاحبنا محدثا نفسه . وما هذا الإقبال والزحام على اللعب ؟ هل المغفلون بهذه الكثرة .. ؟ .. معقول .

إنها صورة من الماضى البعيد سمعها كثيرا فى نوادر أبيه وعمه . فكيف تجسدت الآن ؟ وفى هذا الزمن . ولنفترض أنهم مغفلون وحمقى فعلا ، فمن أين لهم كل هذا الوقت للتسكع ؟

وتوقف تماما غير بعيد ، ليرقب ما يحدث عن كثب .

آه .. إنها مسرحية إذن .

فهذا الجمع وهذا الزحام ليس كله من المغفلين المتسكعين . ولكن هذا الجمع بأكمله عبارة عن فريق واحد .

هناك فقط ضحية واحدة . إن توزيع الأدوار رائع حقيقة .

إن العرض يديره هذا العملاق ضخم الجثة الذى يمسك بالورقات الثلاث بين أصابعه والذى يطوح بيديه فى الهواء بمرونة قبل أن يضع الورقات الثلاث على الطاولة التى أمامه .

وها هو أحد اللاعبين يصرخ - لقد كسبت عشرين جنيها .

ويرد على الفور صوت حاد ثاقب - حلال عليك ياعم - كان صاحب الصوت رجلا أسمر اللون بدين الجسم يقف على يمين الطاولة .

وغادر اللاعب الذى كسب العشرين جنيها مكانه . وتفرسه صاحبنا ، إنه يرتدى نظارة سوداء كبيرة حاول أن يخفى بها وجهه الذى تشوه بفعل بعض الحروق .

ومر الرجل بجوار صاحبنا وبالرغم من النظارة السوداء فإن صاحبنا شعر بأن العينين خلف هذه النظارة ترمقانه بنظرات حادة مليئة بالتحدى .

وها هو لاعب ثان يصرخ – لقد كسبت عشرة جنيهات .

ولينطلق على الفور البدين الأسمر مرددا بنفس الصوت الحاد الثاقب – حلال عليك يا عم .

وليغادر اللاعب الثانى مكانه مسرعا كما لو كانت الأمور تجرى بسهولة ويسر وأن فى إمكان أى عابر سبيل أن يكسب ما يشاء ويمضى إلى سبيله . وليمر بجوار صاحبنا وليرمقه أيضا بنفس النظرات الحادة المليئة بالتحدى .

ولم يفت صاحبنا أن يلحظ ذيل البنطلون الأزرق الكالح الذى يرتديه تحت جلبابه المتسخ . وبالرغم من النظرات المتحدية ، استمرأ صاحبنا الموقف واستمر يراقب ما يحدث . ترى ما هى الخطوة التالية لا بد من وجود فريسة . إن الغرض الأساسى من كل ما شاهده حتى الآن هو الإيقاع بفريسة ، ضحية من أى نوع . تصدق ما يحدث أمامها وتقترب طائعة مختارة لتقع فى الشرك .

ها هو الضحية إذن . إنه شاب ، ويبدو أنه حرفى . إنه يقف مشدوها مبهورا ، ولكن حركته غير متزنة وغير طبيعية . لعن الله المكيفات والسموم بأنواعها وبألوانها المختلفة ، إنه يقترب من الطاولة ، لا بد أنه يتخيل نفسه مشيعا بهذا النداء السحرى ( حلال عليك يا عم ) ، ولا بد أنه أنفق ما معه فى المكيف الملعون والمتبقى معه الآن لا يكفيه ويحلم بأن يضاعفه .

وتقدم الضحية من الطاولة . وليخرج من جيبه بأصابع مرتعشة تحركها يد أكثر ارتعاشا بعض أوراق النقد ، وليبدأ اللعب المعروف نتيجته مقدما .

ولم يسمع هذه المرة النداء السحرى ( حلال عليك يا عم ) ، وحل محله نداء جديد تماما-العب وأنت تعوض يا أخ . أطلقه الأسمر البدين بصوت به من الشماتة أكثر مما به من العزاء .

وتكرر هذا النداء ، حتى بدا واضحا جليا أن الضحية قد نضب معينها .

وعندئذ تقدم الأسمر البدين ولكز الضحية فى كتفه وصرخ فى وجهه - أفسح مكانا لغيرك . أنت غشيم . لا تلعب معنا ثانية .

وهنا تقدم للعب وجه جديد قديم . وجه كان يختبىء خلف نظارة سوداء ، ولكنه الآن قد خلعها تماما وبدا وجهه المشوه الكريه واضحا جليا .

ولتعود البهجة من جديد للمسرح بعد أن صرخ المشوه - كسبت عشرين جنيها . وليعود النداء السحرى من جديد - حلال عليك يا عم .

ولم يتمالك صاحبنا نفسه من الابتسام ابتسامة عريضة وتحولت الابتسامة إلى ضحكة خافتة عندما وجد البنطلون الأزرق الكالح يتقدم للعب بعدما خلع صاحبه الجلباب من فوقه .

ولكن صاحبنا لم يكمل ضحكته إذ فوجئ بصوت يأتيه من خلفه يسأله

- علام تضحك ؟

والتفت بسرعة ليجد صاحب الوجه المشوه الكريه يتفرسه بغيظ وتحدٍّ .

ويردد صاحبنا محاولا أن يكون مقبولا - أن المنظر أعجبنى .

- أية منظر ياروح أمك ؟

- لماذا تستعمل هذه الألفاظ ؟
- هل تظن نفسك ناصحا أم فالحا ؟
- لا ناصح ولا فالح .. ليس لك بى شأن ... ساريحك وأغادر المكان .
- ستلعب معنا .
- لا أريد أن ألعب .
- أننى لا أستشيرك .. ستلعب .
- بالرغم من أننى لن أخسر .. إلا أننى لن ألعب .
- ستلعب وستخسر
- لن ألعب .
- ستلعب .. ومعى أنا ... أنا وأنت فقط .
- لن ألعب .. ولا توجد قوة تجبرنى على أن ...

وماتت الكلمات على لسان صاحبنا عندما رأى محدثه يخرج مطواة من جيبه الخلفى ويفتحها بطريقة مسرحية .

وفكر بسرعة .. لا بد أن الرجل مجنون أو من نزلاء السجون أو ممن يحبون ممارسة هذا النوع من أنواع القهر . يا إلهى ألا يوجد شرطى ؟

على أى حال من الأفضل أن يكون لبقا حتى ينجو من هذا المأزق .

وتحدث إلى الرجل بلطف - ولكن ما الغرض من أن ألاعبك .. إننى قلت لن أخسر إذا لعبت مع هذا العملاق الواقف هناك لأنه كما ترى ضخم وثقيل الحركة .. لكن إذا لا عبتك أنت فمن الممكن طبعا أن أخسر .

ورد المشوه بغلظة - ليس الموضوع ممكن أو غير ممكن ... ستخسر حتما .

- موافق سأخسر حتما .

- لا بد أن أثبت لك هذا بالفعل وليس بالقول .

وفكر صاحبنا مرة أخرى ... أن الأمر لا يعدو كونه عملية ابتزاز رخيصة ... وتلفت حوله ... يا إلهى ألا يوجد شرطى ؟

وقطع عليه محدثه تفكيره - أتريد أن تعدوا ؟

- أنا ؟ .. أبدا .

- تعال إذن .. وجذبه من يده وتوجه ناحية الطاولة وصرخ فى زملائه ........افسحوا لى مكانا سألاعب الأفندى .. منى .. له .. وأفسح له زملاؤه على الفور .

وتعجب صاحبنا مما يحدث .. لماذا كل هذا التحدى ؟ إن كل ذنبه أنه كان يمر بالجوار واستوقفته طرافة الموضوع أنه لم يكن طرفا فى اختيار هذا التحدى .. إنه تحد مفروض عليه فرضا .. وسيخوضه مرغما .. ولكن إذا كان مرغما على اللعب فهو ليس مرغما على الخسارة أن الأمر بسيط ، سيثبت لهذا الأحمق أنه يمكنه أن يكسبه ولكنه لن يأخذ منه أى نقود .. سيتركها له وسيكون هذا درسا له ولصلفه ولغروره .

وأفاق على صوت متحديه المشوه ملوحا له بالورقات الثلاث .

- إفتح عينيك يا أفندى .. هذه هى الصورة . والورقتان الأخريان ها هما أمام عينيك بدون صورة . وحرك المشوه يديه المدربتين فى الهواء بعد أن أمسك الورقات الثلاث بين أنامله ليلقى بها على الطاولة وكان صاحبنا يراقب بتركيز شديد ما يحدث . إنه واثق كل الثقة بأن الصورة هى هذه الورقة اليمنى . نظر إلى الورقة ، ثم نظر إلى وجهه المشوه الذى نظر له ساخرا

فرد على ابتسامته بابتسامة أخرى أكثر منها سخرية ، ومد يدة ليقلب الورقة اليمنى ، وفوجئ بمن على يساره يهمس فى أذنه ـ إنها اليمنى مد يده وقلبها وكانت فعلا الصورة والتفت يساره ليشارك حليفه ابتسامة انتصار .

واقترب الأسمر البدين الذى كان متواريا خلال اللحظات السابقة وسأل زميله المشوه — من كسب ؟

فأشار برأسه إلى صاحبنا ، وانطلق الصوت الحاد الثاقب — حلال عليك يا عم .

وبدون استئذان وكأنما هو أمر مفروغ منه قرر ذو الوجه المشوه أن يلعب دورا آخر .

وتكرر ما حدث وكسب صاحبنا ، ونجح فى اكتشاف مكان الصورة وصحت توقعاته المؤيدة برأى حليفه المجاور له .

وانطلق النداء التقليدى — حلال عليك يا عم

وصاح المشوه بصوت آمر — هذه المرة سنراهن بجنيه

ورد صاحبنا — هذا كثير

— إنك تكسب

— لا أريد رهانا

ولكزه الأسمر البدين فى كتفه وقال يشجعه — إلعب لا تكن فقريا

ورد صاحبنا — فلنجعلها أقل من هذا

واعترض المشوه — نحن لسنا تلامذة

ولكزه الأسمر البدين مرة أخرى — إلعب ما دمت تكسب لماذا أنت خائف

- أنا لست بخائف ولكن

وقاطعه حليفه القابع على يساره - إلعب .. سنذلهم .

وسادت لحظة من الصمت المشوب بالتحدى . والتفت صاحبنا وراءه ثم تلفت حوله .. يا إلهى ألا يوجد شرطى ؟

وقطع عليه استرساله صوت المشوه محملا بالوعيد - هيه .. هل ستلعب أم لا ؟

وآثر صاحبنا السلامة ، فمد يده إلى جيبه وأخرجها ، واختار جنيها كالحا ليلعب به . ولعب . وآزره من على يساره وتكرر النداء السحرى - حلال عليك ياعم ؟

وعاد المشوه ليقرر - هذه المرة سنراهن بخمسة جنيهات .

وأعاد صاحبنا اعتراضه - هذا كثير جدا .. ولكزه الأسمر البدين مرة أخرى .

وفوجئ بصوت أجش يأتيه من خلفه - يادمك الثقيل يا أخى .

والتفت وراءه ليجد العملاق ضخم الجثة والذى كان يدير اللعب فيما قبل قابعا خلفه مباشرة يرقبه من عل ، وأحس صاحبنا بأن موقفه سئ حقيقة . فآثر السلامة وقرر أن يلعب وأخرج من جيبه ما يكمل الجنيهات الخمسة إذ أن ما أمامه الآن هما جنيهان فقط . جنيهه الكالح وجنيه آخر استقر بجواره بعد أن قذفه المشوه فى وجهه فارتد ليقع على الطاولة .

وبدأ اللعب وأراد صاحبنا أن يمد يده كالعادة إذ أن اللعبة سهلة ومكشوفة إلا أن حليفه استوقفه قائلا - الصبر طيب

والتفت صاحبنا له والدهشة تكسو وجهه وردد متعجبا - الصبر طيب ؟

وعاجله الحليف — إنك ستخطىء هذه المرة .

— إننى على يقين من اختيارى .

— أيهم إذن الصورة ؟

— الورقة الوسطى .

— أخطـأت .

— إننى متأكد .

— إنها اليسرى .

— إننى سأختار الوسطى .

— إنك غبى .

— إنك أنت الغبى .

وحاول صاحبنا أن يمد يمناه ليقلب الورقة التى اختارها ولكنه فوجىء بالأسمر البدين يمسك بيده ويثبتها له بجواره وحاول أن يمد يسراه ولكنه فوجىء بمن كان حليفه منذ لحظات يفعل نفس الشىء وأصبح صاحبنا مشلول الحركة .

وسأله الحليف الذى كان — لماذا تسبنى ؟

وأجاب صاحبنا — أنا لم أسبك ، ولكن رددت لك سبابك ... فأنت الذى بدأت .

— ولنفترض أننى قليل الأدب ، هل أنت قليل الأدب ؟ إن أخى هو هذا العملاق الواقف وراءك وهو سريع الغضب ويؤتى كثيرا من الحماقات عندما يرى أحدا يسبنى هل لك فى عينه من حماقاته ؟

وقبل أن يفكر صاحبنا فى رد مناسب يدفع به عن نفسه هذا البلاء هوت قبضة العملاق على أم رأسه بضربة ساحقة جعلت الدنيا تظلم فى

عينيه لفترة لم يدر هل طالت أم قصرت . ولكنه شعر أن هناك شيئا ما فى كيانه قد انسحق .

إن هناك شيئا ما فى تركيبته قد تغير . إنه كان ينظر إلى طاولة اللعب من ارتفاع ما ، ولكن بعد هذه الضربة ، أصبحت هذه الطاولة فى مستوى ناظريه . إن قامته قصرت كثيرا عن ذى قبل . ولم يدر ماذا يقول أو ماذا يفعل .

إنه يريد أن يخرج من هذه الورطة بأى وسيلة وبأى ثمن . إن كل هدف هؤلاء اللصوص هو الاستيلاء على نقوده والسلام . ومن الأفضل أن يحاول الانسحاب تاركا لهم ما يريدون .

وقال صاحبنا بصعوبة — أنا آسف حقكم على .. هل يمكن أن تتركونى وشأنى .

وهمهم جميعهم — حصـــل خير

— هل يمكننى أن أغادر ؟

ورد المشوه بسرعة — ولكنك لم تكمل اللعب

— وكيف يمكننى أن ألعب وأنتم تكتفوننى ؟

ورد الأسمر البدين — ستلعب ولكن بطريقتنا

— كيـــف ؟

وردد الجميع — إلعب وأنت تعرف

ورد صاحبنا ( وكانت الورقات الثلاث لاتزال فى أماكنها على طاولة اللعب ) — إننى أعرف مكان الصورة فهى الورقة الوسطى .

ورد المشـــوه — ولكن من على يسارك ليس له نفس رأيك

— إننى لا ألعب نيابة عنه

البـــدين — ولكنك دائما فى المرات السابقة كنت تأخذ بنصيحته

- أنا حـــــــــر

المشـــــوه - هذا ما تتوهمه أنت

وأتاه صوت العملاق من عل - هيا بنا لاتضيع وقتنا .. إلعب

وحاول صاحبنا أن يمد يمناه ليقلب الورقة التى اختارها ولكن يمناه كانت ممسوكة بإحكام .

وحاول أن يمد يسراه ولكنها كانت ممسوكة بإحكام هى الأخرى وحاول تحرير إحدى اليدين ولكن جهوده ذهبت هباء .

وصرخ صاحبنا قائلاً - لا أعرف كيف يمكننى أن ... وسكت يائسا ولم يكمل عبارته

وردد المشوه - لا تحزن سنساعدك .. ثم هتف فى زملائه - ساعدوه ياخلق

وسمع صاحبنا الصوت الأجش يأتيه من الأدوار العليا قائلا - هيا بنا .. لا تضيع وقتنا .

وانحنى العملاق ليشارك الأسمر البدين فى القبض على يد صاحبنا وليأخذا بيده ليحركاها رغما عنه تجاه الورقة اليسرى على الطاولة . وحاول صاحبنا أن يقاوم بلا فائدة ومن ثم لم يستمر فى المقاومة وقام بقلب الورقة اليسرى وليخسر رغم أنفه .

ولم يمهله البدين بل صاح على الفور - إلعب وأنت تعوض يا أخ .

- هذا يكفينى .. لن ألعب ... أنتـم ...

ولم يكمل صاحبنا عبارته إذ هوت قبضة العملاق الساحقة على أم رأسه مرة أخرى .

وفوجىء صاحبنا بعد أن تمالك حواسه أنه أصبح ينظر إلى الطاولة من أسفل ، إذ أن قامته قد قصرت هذه المرة أكثر من المرة السابقة . فقد كانت الضربة عنيفة ومركزة بحيث جعلته يتداخل بعضه داخل البعض ، وشعر أن الضربة ألغت رقبته واختصرت مسافة كبيرة من صدره وكمشت فخذيه وضغطت ساقيه .

وعاد المشوه ليقرر — هذه المرة ستراهن بعشرة جنيهات

ورد صاحبنا على الفور — إنها كل ما معى

— هذا ليس شأننا .

— ماذا سيحدث لو خسرتها ؟

— لانريد بكاء .. لاتكن عيـــلا

— عيـــــل ... ؟

— طبعا عيل ... أنت كثير الكلام . كثير الشكوى .. كن كبيرا

— إننى كبير .. ولكن بفضلكم لم أعد كذلك .. فإنكم تقزموننى

— هـــــه ؟

— تقزموننى .. فأنا أشعر بأننى أتقازم ... إنكم تصيبوننى بالتقزمية

— هـــــه ؟

— إننى بعد كل جولة من اللعب أصبح قزما عن المرة التى قبلها .. علما

بأننى قصير القامة بطبيعتى ، فأنا مقزوم
وأنتم قازمونى .

- لانريد فلسفة .. إن الفلسفة لا مكان لها
هنا .. هل ستلعب أم لا ؟

وأردف الأسمر البدين - لاتضيع وقتنا

وأضاف العملاق - إنك مزعج .. والذوق لن يجدى معك

وشجعه الحليف السابق - من الممكن إذا لعبت .. أن تعوض
خسارتك

ورد صاحبنا بغيظ - حسنا .. إذا كان كل همكم هو العشرة
جنيهات لماذا لا تأخذونها مباشرة
وتريحوننى .

وهمهم الجميع - لا .. هذه اسمها سرقة بالإكراه ... نحن
لسنا بلصوص .. لابد أن نتعب
ونشقى فى سبيل أن نكسب .

وردد صاحبنا بسخرية - معكم كل الحق .. إنكم فعلا شرفاء ..
ولكن ألا تخبروننى ، كيف ألعب
وأنا لا أرى كيف تجرى الأمور عندكم فوق .. وبالتالى فأنا
غير قادر على تحديد أى شيء أو اختيار أى شيء .

وتلفت وراءه للمرة الأخيرة - ياإلهى ألا يوجد شرطى ؟

وصاح به المشوه - أرنا نقودك .. أخرج العشرة جنيهات
وضعها على المنضدة .

وفعل صاحبنا ماطلب منه ودارت الورقات الثلاث بين أنامل المشوه ، المدربة واستقرت على الطاولة .

وهمهم الجميع يسألون صاحبنا - هيـــه ؟

صاحبنا - أى حاجـــة

الجميع - ما قصدك ؟

صاحبنا - إننى لا أرى شيئا مما يحدث على الطاولة فوق وبالتالى أرجو أن تتكرموا بمساعدتى وتختاروا لى .

الجميع - عين العقـــــل

الحليف السابق - إنها الورقة اليسرى

صاحبنا - موافـــــق

وصاح الأسمر البدين بعد ما كشف الورقة اليسرى - إلعب وأنت تعوض يا أخ .

وردد صاحبنا - إنكم أخذتم كل ما معى من نقود .. ولم يعد معى مليم واحد ولن أستطيع اللعب ثانية .

ورد الجميـــع - ومن قال لك إننا نريدك أن تلعب ؟

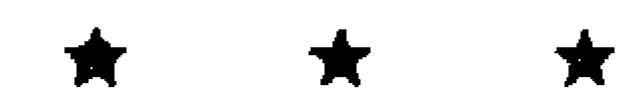
وبدون مناسبة هوت مجموعة من القبضات القاسية على رأس صاحبنا . كانت القبضات تأتى من جميع الاتجاهات ويساهم فيها الجميع ... العملاق والأسمر البدين والمشوه والحليف الذى كان ...

وأفاق صاحبنا بعد فترة . وفتح عينيه ونظر حوله وهو كالمصعوق .

إن مستوى نظره لم يعد يتعدى مستوى أحذية الواقفين بجواره .

إلى هذه الدرجة كانت الضربات قوية وقاصمة وساحقـــة ؟

على الأقل إنهم لم يعودوا مشغولين به . بل لم يعودوا يشعرون بوجوده على الإطلاق . حسنا فليذهب .. وذهب .. انسل من بين أقدامهم ... وسار فى الطريق الوعر .. لا أحد يدرى به ولا أحد يراه .



فبراير /١٩٨٧

# غمـــزة عيـــن

أحس بسطويسى بعصافير عقله تزقزق وتغنى سعيدة ، كذلك نهقت حمير قلبه نهيقا عاليا متصلا وبرطعت خيالاته العليلة فى اسطبلات وجدانه الخاوى ، لقد غمزت له . نعم غمزت له بعينها اليسرى قبل أن تقوم لتنضو عنها ثوبها .

إنه قارب الخمسين من عمره ، لكن لا يمكن لمن لا يعرفه جيدا أن يعطيه هذا العمر فهو يحافظ على صحته إلى درجة الوسوسة ولا يتعاطى أى نوع من المكيفات بل إنه لايشرب حتى القهوة والشاى . ينام مبكرا ليستيقظ مبكرا ويزاول فى الصباح الباكر تمرينات رياضية متنوعة ليحافظ على رشاقته ووسامة قوامه . هذا بالإضافة إلى أنه لجأ مؤخرا إلى استخدام نوع خاص من الصبغات لإخفاء ما ظهر من شعيرات بيضاء تخللت فوديه . وبالرغم مما يقال من أن العقل السليم فى الجسم السليم إلا أن لهذه القاعدة شواذ ، شأنها شأن أى قاعدة فبالرغم من جسم بسطويسى السليم إلا أن عقله كان يتمتع بتركيبة خاصة تجعله يفكر تفكيرا خاصا ويتخذ قرارات خاصة أيضا . فهو مثلا يؤمن إيمانا مطلقا بقدرته الخاصة جدا على الإيقاع بأى امرأة يضعها فى دماغه ويؤمن إيمانا مطلقا بأن وسامته لاتقاوم وبأنه فتنة للناظرين وبالرغم من أن فشله الدائم مع الجنس الآخر كان كفيلاً بإعادته للحق ولجادة الصواب إلا أنه كان يعزو هذا الفشل إلى ظروف خارجة عن إرادته . كان من هذا النوع من الرجال بليد الشعور بليد الإحساس من هذا النوع الذى نزع الحياء من قلبه فلم يعد يستحى أن يفعل مايشاء . لقدمسح الشاطىء بعينيه المدربتين وتفحص جموع المصطافين

تحت الشماسى . وفى النهاية اختار موقعه بجوار هذه المجموعة من النسوة . إنهن يتحدثن بصخب ويتضاحكن بحرية كاملة ولايوجد معهن رجل . صيد طيب . من المؤكد أن فيهن من تصلح لأن تكون فريسة سهلة المنال .

دار حولهن دورتين قبل أن يحدد مكانه بالنسبة لهن وقبل أن يختار الزاوية التى سيطلق منها إشعاعات جاذبيته . وغاب قليلا ثم عاد ومعه أحد عمال الشاطىء . كان كل عمال الشاطىء يعرفونه ، إذ كان بسطويسى هو الموظف المسئول عن الشاطىء فى « المحافظة » . وكان الإشراف على هؤلاء العمال يقع فى دائرة اختصاصه وكان العمال يتندرون بسماجته ورذالته وهواياته البغيضة وبالتالى كانوا جميعا يبذلون كل ما فى وسعهم لتجنب غضبه ولتحاشى عدم رضائه . وبالرغم من ازدحام المكان إلا أن بسطويسى نجح فى زرع نفسه وشمسيته فى المكان الذى اختاره وفقا لحساباته المعقدة .

إنها فى العقد الثالث من عمرها . ثائرة صاخبة . ووفقا لحسابات بسطويسى وتقديراته فإنها من المؤكد ستكون من هذا النوع الذى ( يجىء منه ) وأخرج بسطويسى أدواته من حقيبته ووضعها بعناية على قرص منضدة الشمسية ثم أخرج أخيرا جهاز تسجيله وأدار المفتاح فانطلق التسجيل بأغنية قميئة المعانى بصوت مغنٍّ مغمورٍ أكثر قماءة .

ثم استدار ووقف ينظر إليها . ولم تلتفت إليه فى بادىء الأمر . ولكن بإصرار سمج ركز بسطويسى نظراته عليها . وبدأت تشعر بأنه يتفحصها ويتفرسها بل ويراقب كل خلجاتها مراقبة نمر رابض لغزال ضل طريقه فى الأحراش . وبدأ غروره يتصاعد أبخرة تملأ أوداجه زهوا وتجعل جنباته تنتفخ

خيلاء ذلك عندما بدأ يشعر أنها بدأت تدخل فى دائرة تأثيره الكهرومغناطيسى ، إذ أنها بدأت تراقب بسعادة كيف يراقبها بنهم وقح .

وبدأت تتكلم وهى تختلس النظر إليه وهو يسترق السمع . وكان متأكدا أنها توجه الحديث له مباشرة .

- لقد خرجت اليوم بمعجزة فإن لمعى - زوجى - لايحب الخروج من المنزل وهو يجلس كالصنم أمام التليفزيون . أقول له نذهب للشاطىء نغير هواء صدورنا فنحن فى نعمة يحسدنا عليها سكان مصر جميعا ، تصوروا ماذا يكون رده ؟

وتسألها صويحباتها وهن يتضاحكن عن رد لمعى ، فتكمل المرأة حديثها مقلدة صوت زوجها .

- لا لن نذهب ... فأنا لا أعرف ما الذى يعجبك فى هواء البحر إنه مزعج ويملأ زجاج نظارتى ببخار الماء ويجعلنى لزج الجسد والملابس . وعلى الفور - ومازال الكلام لها - ثرت فى وجهه وقلت له - إننى أعمل طوال الصباح فى المنزل كالخادمة وكل صديقاتى يذهبن فى مثل هذا الوقت يقضين ساعة أو ساعتين لتجديد نشاطهن وللترويح عن أنفسهن وأنا الوحيدة بينهن الذى دعى على والدى ، وبكيت بغيظ وحرقة وتركته ودخلت غرفتى . وبعد قليل أتى إلى قائلا :

- إذا كنتى تريدين الذهاب وحدك ياسميحة فاذهبى .. لكن لا تتأخرى .

- لن أتأخـــــر

- كونى هنا قبل الغروب

وفى دقائق معدودة كنت فى الشارع .. أف .. ياساتر .. سجن .. وتنهدت سميحة ثم ابتسمت .

وابتسم بسطويسى سعيدا . ابتسم لها ولنفسه ، فهى تجيد ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد فهاهى ترسل له رسالة فيها الكثير عن نفسها وعن أسرارها . فها هى قد أبلغته اسمها . وها هى تعلن للملأ شعورها الملىء بالغيظ من زوجها إلى درجة تقرب الكراهية . شعور ليس به أى قدر من الولاء ، وليس به أى قدر من الانتماء . فهى تقرر أنها لاتحب رجلها بل لاتحترمه وهى غير سعيدة به أو معه . وقد بلغته الرسالة كاملة .

وسألت سميحة بغتة - والنبى هل يوجد أحد فى الدنيا لايعجبه هواء البحر ؟

ولم يسمع بسطويسى رد صويحباتها لأنه كان مشغولا بمحاولة الرد عليها من خلال هز رأسه مجيبا بالنفى على سؤالها . وتلحظه سميحة فتبتسم .

وأردفت سميحة - يريدنى لمعى أن أعود قبل الغروب ، علما بأن أجمل منظر للبحر يكون ساعة الغروب .. أليس كذلك ؟

ويهز بسطويسى رأسه هذه المرة بالإيجاب ... وتزداد ابتسامة سميحة وليرد بسطويسى عليها بابتسامة أوسع منها .

ويزداد تصاعد الأبخرة تملأ أوداجه وجنباته وتصب فى شراينه نيرانا تذوب فى دمائه وتجعله يود أن يقفز من مكانه ليخطف سميحة ويعود بها نحو البحر ليستمع منها على انفراد . فهى بدون شك جد معجبة به وجد

متيمة كذلك . ولكن فليصبر قليلا . لقد تعود بحكم سنه وبحكم تجاربه أن الوقت الكافى ضرورى لنضج هذا النوع من الخطط ورب عجلة تهب ريثا فالأفضل ألا يتعجل ، وتسكت سميحة قليلا بينما انهمكت صويحباتها فى حديث صاخب تقطعه بين الفينة والفينة ضحكة لعوب ساخرة . وينتظر بسطويسى أن تؤتى بأى لفتة ، أى حركة ، أى نظرة ، ولكن سميحة كانت فى عالم آخر . وتبدأ الأبخرة الوردية التى تملأ جنبات بسطويسى فى تغيير لونها فهى فى سبيلها إلى التحول إلى أدخنة شبيهة بأدخنة عوادم السيارات وبدأت هذه الأبخرة تحرقه وتؤلمه وتململ فى مكانه .......

قام ثم جلس ثم قام ثم جلس . وأخيرا عادت سميحة من عالمها المجهول . وبدأت تشارك فى الحديث

– ما رأيكن فى لون شعرى الجديد ؟

ورمقت بسطويسى بعد السؤال بنظرة سريعة احتار فى فهم معناها . كانت نظرة بلا عاطفة ، بلا انفعال ، بلا معنى . نظرة بلا ظلال .

ولكن بسطويسى الممتلىء ثقة لم يقف عند معنى هذه النظرة لأنه كان متأكداً أن السؤال الذى ألقى إنما كان يخصه هو . وعلى الفور وبلا تردد أرسل لها قبلة صامتة فى الهواء .

ولتنفجر سميحة ضاحكة بملء فيها من هذه الحركة .

ولتعود الأبخرة تصب نيرانها فى شرايين بسطويسى ولتعبث الأوهام والأحلام بالبطل الهمام . وقرر بسطويسى أن يسرع من إيقاع اللعبة . فانتفض واقفا وخلع قميصه ووقف يستعرض نفسه بلباس البحر ووقف يتلكأ يتحين فرصة يصطاد فيها عينا سميحة ، حتى نجح ، فأومأ لها برأسه

ناحية البحر أى هيا بنا إلى الماء نسبح سويا ، فأشاحت بوجهها وتصنعت الانهماك فى حديث مع إحداهن .

اتجه بسطويسى إلى الماء بخطوات استعراضية وقبل أن يقفز قام ببعض تمرينات الإحماء ليجهز عضلاته كما لو كان سيعبر بحر المانش ، ثم قفز فى الماء وسبح زاحفا فى بادىء الأمر ثم غير من سباحته فسبح ظهرا ثم صدرا وأخيرا سبح سباحة الفراشة وأخذ يتفنن فى التقلب بين هذه السباحات المختلفة محاولا إظهار رشاقته وحسن أدائه . وكان يشعر بل كان متأكدا أنها ترقبه ، فتمادى فى إجهاد نفسه مظهرا من اللياقة مالا يتحمله سنه وشعر بعد برهة بالإجهاد يدب فى أوصاله وفى عضلاته فقرر أن يستريح قليلا فاقترب من الشاطىء وغطس ثم أخرج رأسه من الماء موجها وجهه ناحية السماء ليعطى الفرصة للماء كى يصفف شعره وخرج وتوجه إلى شمسيته . وليقف أمامها غير بعيد بعد أن أخرج منشفته وأمسك بها بطريقة حاول أن يجعلها ارستقراطية فأمسك بطرف المنشفة يجفف عينيه تاركا باقى المنشفة يتهدل حتى ركبتيه وسألها برأسه وملامح وجهه لماذا لم تأتِ نسبح سويا فابتسمت .

وجلس بسطويسى وأخرج جريدته متصنعا العظمة وهو يدعى قراءتها .

قامت سميحة لتنضو عنها ثوبها ولتغمز له بعينها اليسرى وهى تحكم تثبيت خصلات شعرها فغردت عصافير عقله ، ونهقت حمير قلبه . وقفت قليلا تستعرض جسدها فى ثوب البحر ولتكمل تثبيت خصلاتها . وشد انتباهه كتفاها البضتان الممتلئتان . إنها أكتاف ملكية ، إنه يشعر فجأة أن

كتفيها شبيهة بكتفى الملكة شجرة الدر .

إنه لم يقرأ عن كتفى شجرة الدر ولم ير كتفيها حتى فى الأحلام . ولكن لابد أن تكون هاتان الكتفان هما لشجرة الدر . كتفان قويتان بضتان ممتلئتان برشاقة . يتلألآن ببياض عاجى تشوبه سمرة محببة .

وأرسل عينه تعربد فى تفاصيل هذا الجسد المتناسق الجميل . وكان انكسار أشعة الشمس ساعة الغروب على بشرتها وعلى جسدها كله يصنع منها لوحة من لوحات الجمال الكونى الأسطورى الذى يتفنن فى رسمها البحر ولحظات الغروب وأحس بما يشبه الإغماء .

كان فى مجلسه المخدر يشبه باريس الفتى الذهبى الذى ألقى به البحر ليفتح عينيه فيجد هيلين الطروادية أمامه لتأسرلبه وتملك عليه عقله ولتبدأ بهما أحد أساطير الحب وإحدى قصص التاريخ الدامية .

ركضت سميحة إلى الماء بدلال وجمال ، بجنون ومجون ، وليشرب بسطويسى بعينيه من كل عضلة تهتز فيها وهى تجرى لتلقى بنفسها فى اليم الذى رحب باحتواء هذا الجمال .

سبحت سميحة بخفة ورشاقة كمن أمضت عمرها كله فى الماء . واتجهت بخفتها ورشاقتها إلى هذه الجزيرة الصخرية فى وسط الماء وتركها بسطويسى حتى رآها تقترب من الجزيرة فألقى بجريدته وهرع إلى الماء وقفز كما يقفز الأبطال أمثاله . وتوجه نحوها مباشرة . كان يسبح بسرعة وإصرار ، ورآها وهو يسبح نحوها تقف على الشاطىء الصخرى للجزيرة ، إنها بدون شك تنتظره اقترب منها ، وبالرغم من شعوره بالتعب إلا أنه أصر

على أن يكمل ليظهر بطولته وفتوته . كان يرى قاع البحر قريبا منه بحيث يمكنه أن يقف ليلتقط أنفاسه التى تقطعت تقطيعا ولكنه أبى إلا أن يكمل . كان يخرج رأسه من الماء مع كل خبطة من خبطات ذراعيه المنهكتين ويلوى رقبته ويرفع شفتيه جانبا ليشفط أقصى كم يستطيع صدره أن يستوعبه من الهواء ليعود فيخرجه فى الماء . إنه يعرف أن مثل هذا التعب يزول بعد دقائق من الخروج من الماء . لابأس إذن وليكمل .

ويصل بسطويسى اخيرا إلى الشاطىء الصخرى ، هدا الشاطىء الذى حسب أنه قضى دهرا كاملا فى الوصول إليه ، حتى لقد خيل إليه أن الجزيرة تصبح بعيدة عنه كلما اقترب هو منها . ووقف يلملم أنفاسه وحاول الاقتراب من سميحة ، كانت سميحة تقف على بعد خطوات منه متصنعة اللامبالاه التى أغاظته بعد كل هذا المجهود .

واقترب أكثر فأكثر وحاول أن يبدأ فى السلام وفى التحية ولكن سميحة وبدون مقدمات قفزت فجأة إلى الماء عائدة .

ويستمر بسطويسى فى مكانه كمن تحول إلى نتوء صخرى من جنس هذه الجزيرة نفسها ، لقد بوغت تماما بهذه الخطوة التى لم يضعها غروره فى الحسبان وبدون تفكير وبلا تريث عاد بسطويسى وراءها . إنه أسرع منها سيلحق بها إذن ويرتطم بها متصنعا صدفة بلهاء للبدء فى حديث معها ، أو يقدم نفسه لها قائلا .... إن الماء جميل ولذيذ ، أو حضرتك لاتعرفيننى بالرغم من أنى أعرفك جيدا ... أى كلام .

المهم الآن أن يلحقها . إنها تسبح بمهارة الدرفيل هذه الشيطانة .

وأسرع من خبطات يديه ومن طرقات قدميه وأخرج رأسه ولوى رقبته

ورفع شفتيه جانبا وفتح صدره على اخره ليشفط أقصى ما يستطيع من الهواء إلا أنه لم يجد ماينشد من الهواء ، فاجأته موجة صغيرة من الماء لايزيد حجمها عن حجم نصف برتقالة جعلت فاه لايتلقى الهواء المنشود بل حل فى فمه الكبير جزء صغير من هذه الموجة جزء لايكاد يرى من الماء المالح ، كمية تكاد تقارب حمولة ملعقة صغيرة .

وشرق بسطويسى وسعل بعنف .

حاول أن يتوقف قليلا ، لكنه فوجىء بآلام غريبة تحتل صدره .

بحث عن هواء يستنشقه لكنه شعر أن رئتيه تحجرتا ، وتصاعدت آلام صدره مسببة ما يشبه الشلل ليديه وقدميه .

حاول أن يصرخ مستغيثا لكن صوته خرج حشرجات متعثرة .

تمنى أن يخنق الماء بيديه ليستخرج من طياته شفطة هواء ... لكن الماء كان يروغ منه ويستعصى عليه .

وبدأ الماء يعلو فوقه ...

وشعر أن الشمس قد غربت فجأة ، فحاول أن يصرخ من جديد لكنه شرق ثانية .

وبقوة وبعنف تصاعدت آلام صدره تخدر كل حواسه ، واستمر الماء يعلو ويعلو ...

وبدأت حركة بسطويسى تهدأ وتسكن .. حتى توقفت تماما ..

.... وذاب بسطويسى فى غمـــزة عـــين .

مايو / ١٩٨٧

## حدث فى « بيت ساحور »

فى مدينة « بيت ساحور » إحدى مدن الضفة الغربية لنهر الأردن

وقبيل عصر أحد أيام شهر أكتوبر من عام ١٩٨٩

وفوق سطح إحدى البنايات البسيطة التى تتكون من دور واحد ، جلس الشيخ ( محمود ) يحاول أن يخفف عن نفسه آلام روماتيزم المفاصل بأشعة الشمس الحنون الدافئة إذ كان اليوم باردا على غير العادة ، وكانت أشعة الشمس رحيمة به حانية عليه فبعثت دفئا فى أو صاله خفف بالفعل من أوجاعه وآلامه الروماتيزمية .

لكن لم تكن آلام مفاصله هى الآلام الوحيدة التى تشقيه وتعذبه وتقض مضجعه وتحيل سواد الليل إلى نهار يعج بالحركة ويمتلىء بالحياة .

لقد انصرف من لدنه منذ دقائق صديقة الحاج ( محمد سلمان ) أحضر له بعض أجولة الحشائش التى يطعم بها الأرانب التى يعشق تربيتها فى حظائر خاصة رتبها ونظمها بعناية فوق سطح البناية ، ثم ذهب ليأخذ ابنه فيصل من المدرسة القريبة من الدار والتى تضم حفيد الشيخ ( محمود ) أيضا .

كان الشيخ قد انتهز الفرصة كعادته وسأل صاحبه عن آخر الأخبار وأهم الأحداث التى وقعت فى « بيت ساحور » وباقى مدن الضفة ولم يفته أن يسأل عن أخبار مدن ومخيمات قطاع غزة ، ولم يبخل الحاج ( محمد ) – كعادته أيضا – وأخرج كل مافى جعبته من أنباء وأحداث .

جلس الشيخ يرنو إلى الطريق ينتظر عودة حفيده من المدرسة .

كان يخيل إلى من يشاهده فى مجلسه هذا أنه ينعم بالغوص فى سبات عميق أو أنه يستمتع بإغفاءة ثقيلة ، ولكن أنى له أن ينعم بإغفاءة وأنى له أن ينعم بعميق السبات .

كانت الأخبار التى تلاها عليه الحاج ( محمد سلمان ) جد مزعجة وجد مؤلمة ، وكان أكثر مايزعجه فيها ويؤلمه منها عدم قدرته على المشاركة فيها والمساهمة فى صياغتها ، لقد أقعده المرض ولم يغادر داره لعشرة أيام خلت ، وأصبحت تحركاته الوحيدة هى المشوار اليومى إلى سطح البناية يطعم أرانبه ثم ينتظر عودة حفيده من المدرسة لينزلا سويا إلى أسفل حيث يقضيان باقى يومهما .

- آه . ( أطلقها الشيخ بحسرة وألم )

كانت الأخبار والأحداث التى نقلها إليه الحاج ( محمد ) لاتزال ترن فى أذنيه تعاود سرد نفسها على سمعه ووجدانه وتعاود فرض نفسها على كيانه كله ولايملك منها فكاكا ولايقدر على تجاهلها ومحاولة نسيانها .

......................

......................

. .................

، .................

( استشهد اليوم فى قطاع غزه . على عياد توفيق العاصى ( ١٧ سنة ) بعد أن أطلق الجنود الاسرائيليون عليه الرصاص خلال اشتباك فى مخيم خان

يونس أثناء قيامه مع زميل له برشق دورية اسرائيلية بالحجارة ليكون الشهيد رقم ٥٨٢ منذ بدء الانتفاضة ، وكان قد نقل إلى المستشفى بعد ... )

( فرض بالأمس حظر التجول على حى البراجيل وأغلق مسجدان ومدرستان بالقطاع كما أستمرت المواجهات فى أنحاء مختلفة من الضفة الغربية.... )

( وزع القائد العسكرى الاسرائيلى فى المدينة — بيت ساحور — بالأمس بيانا توعد فيه الأهالى الفلسطينيين بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم يدفعوا الضرائب للخزينة الاسرائيلية ؛ وقد تحدى الأهالى حملات المداهمة والحصار المفروض عليهم وامتنعوا عن دفع الضرائب ........................ )

( مازال حظر التجول ساريا على مدن الخليل ورام الله وبيره والقدس ومخيمات بلاطة وعسكر والفارعه ونور شمس اللاجئين وكان الأهالى قد... )

( واصلت قوات الاحتلال تطبيق العقوبات الجماعية ، فقد اعتقلت القوات الاسرائيلية منذ يومين ٧٥ مواطنا فلسطينيا منهم ٤٦ من قرية جنين ، كما قطعت سلطات الاحتلال المياه عن قرى العبيده ودار صلاح وزعتر والحجاجة وذلك فى إطار ....................................... )

( وقعت منذ ثلاثة أيام مصادمات عنيفة بين المواطنين العرب والقوات الاسرائيلية فى مختلف أنحاء الأرض المحتلة مما أسفر عن إصابة مالايقل عن ٦١ فلسطينيا بينهم ١٩ طفلا ................................... )

( وصل عدد الفلسطينيين فى سجون ومعتقلات إسرائيل منذ بدء الانتفاضة ٤٠ ألف فلسطينى يشكلون حوالى ٥ بالمائة من مجموع السكان العرب فى الأراضى المحتلة ................................ )

( أستشهد شاب فلسطينى وأصيب ١٥ آخرون فى مصادمات دامية لسكان قرية ( ميسلوت ) فى منطقة جنين أثناء تصديهم لقوات الاحتلال أثناء اقتحامها القرية فى الساعات الأولى من الصباح حيث قام الاهالى بـ )

( أعلن مركز المعلومات الاسرائيلى أن قوات الاحتلال قامت حتى اليوم بهدم ٢٣٦ منزلا فلسطينيا وأغلقت ١٩٨ آخرين منذ بدء الانتفاضة وذلك فى إطار سياسة الردع و ............................ )

( أستشهد فى أوائل هذا الشهر — محمد بن عوده — وكانت قوات الاحتلال تجد فى أثره منذ قرابة العام ، وبعد القبض عليه واقتياده إلى مكان مجهول تم تعذيبه وقتله وألقيت جثته على مقربة من قريته بالضفة ليلا )

( أغلقت قوات الاحتلال ( مسجد بلال ) فى خان يونس بقطاع غزة رتصدى لهم الفلسطينيون وأعادوا فتحه ووقعت مصادمات دامية ، كما أصيب عدد من المصلين بأحد مساجد مدينة الخليل بحالات اختناق وتسمم لإطلاق جنود الاحتلال قنابل الغاز على المصلين .......... )

( طالب القنصل العام البريطانى منذ حوالى أسبوع بإجراء تحقيق فى واقعة إطلاق الجنود الاسرائيليين النار على شاب فلسطينى بمدينة نابلس بعد استسلامه برفع اليدين مما أدى إلى استشهاده على الفور )

( قام بالأمس بعض المستوطنين الإسرائيليين بمحاولات لإقامة مبان داخل حرم المسجد الأقصى وتعتبر هذه المحاولة إضافة جديدة لما يقوم به الجنود الاسرائيليون من انتهاك مستمر لحرم المسجد .......... )

....................

....................

............................

............................

أطلق الشيخ محمود زفرة حارة وهو يردد – لك الله يا أرض فلسطين .. لك الله .. آه لو يتحقق المستحيل ويعود بى العمر عشر سنوات فقط . !

وجاءه الرد على الفور بصوت ( خالد ) وهو يثب درجة السلم الأخيرة – وآه ياجدى لو يتحقق المستحيل ويتقدم بى العمر خمس سنوات فقط .

ابتسم الشيخ يهمس لحفيده ونديمه الوحيد قائلا – إننى على أتم استعداد للمبادلة . عندما أمعن الشيخ النظر فى حفيده وجده يلهث لهاثا عنيفا ، واضح الاضطراب ، زائغ النظرات ، مشعث الهيئة . فأردف يسأله على الفور – لماذا تلهث هكذا ؟ وماذا أصاب ملابسك ؟ ولماذا لم أراك عائدا من طريقك المعتاد ؟ .

وفى صوت بدأ فيه عمق الحزن الغريب على سنى عمره الإثنتى عشرة أجاب خالد – لقد غيرت طريق عودتى رغما عنى ، لقد وقعت بعض الأحداث ..

وفى لهفة تعجل الجد – قص على ماحدث .

– عند خروجنا من المدرسة وجدنا الناس يشيعون جنازةالشهيد ( المختار بن عمر ) واشتركت أنا وجميع الزملاء فى السير خلف الجنازة ،

وأخذنا نهتف للشهيد وللوطن ، وبدون اتفاق وجدنا أنفسنا نهتف فى صوت واحد ( فلسطين بلدنا واليهود كلابنا ) وبعد لحظات هاجمنا الجنود الإسرائيليون محاولين تفريقنا بالهراوات والعصى المكهربة ، ولسوء حظهم كنا نمر بجوار دار العم ( إدوارد الناصرى ) ..

- وما دخل ( المقدس إدوارد ) بالموضوع ؟
- ألا تعرف أنهم هدموا داره بالأمس ؟
- لا أعـــــرف
- لقد أحضروا أحد البلدوزرات الكبيرة فدكت البيت دكا وحولته إلى أنقاض فى دقائق قليلة بحجة أنه يأوى بعض الهاربين من سلطات الاحتلال .
- حسبى الله ونعم الوكيل .
- كانت الأنقاض مشونة على جانب الطريق ولم تكن قد رفعت بعد ، ووجدنا كميات كبيرة من الطوب والحجارة تهيب بنا أن استخدمونى فى رجم هؤلاء الظلمة ، وانهمرت عليهم الحجارة كالأمطار ، فابتعدوا وتركونا ، ولكنهم مالبثوا أن عادوا بعد دقائق معززين بعربات مصفحة أخذت تطلق النيران على النساء والأطفال بكميات كبيرة وبدون أى إنذار وجرينا كلنا نحتمى من الرصاص الغادر ، وجريت أنا مع من جروا ، ولكن حدث شئ مؤسف ياجدى .
- ماذا حدث يابنى ؟
- لقد ثبت فيصل فى مكانه واستمر يرشق الجنود بالحجارة .
- فيصل وحيد الحاج محمد سلمان ! ؟

- نعم ياجدى ... استمر يرشقهم بكل ماتطوله يداه .. وفجأة وجدناه يصرخ ويسقط على الأرض ينزف بشدة بفعل رصاصة أصابت رأسه .
- ياإلهى .. هل مات الولد ؟؟
- نعم ياجدى ، لقد استشهد فيصل ، وسنشيع جنازته صباح الغد .
- ...........
- ...........
- هل لى أن أطلب منك طلبا ياجدى ؟
- أطلب ماشئت ياخالد ، لكن لاتقم بأى عمل طائش ، فأنت الآن كل أسرتى ، ويكفينا مامر بنا من خطوب أفقدتنا الأهل والأصحاب .
- أريد أن أستأذنك فى قضاء بعض الفترات مع الحاج ( محمد سلمان ) أكون خلالها ابنا له بعض الوقت أناديه أبى علنى أشعره ببعض السلوى .
- أرجوك أن تفعل هذا ياخالد ، إن لم تطلبه أنت منى لطلبته أنا منك .. والآن هيا بنا نتناول طعامنا .
- لست بجائع .
- وأنا أيضا ، لكن من الأفضل أن نتناول الطعام فى موعـــده .
- أرجوا أن تنتظر قليلا ياجدى فلدى عمل أود القيام به قبل الغـــذاء .
- أى عمـــــل هــــذا ؟
- أنظـــر ياجـــدى ...

أخرج خالد من جيب « بنطلونه » الخلفى لفة من الخيط « النايلون » الرفيع الشفاف ، ملفوف بعناية حول بكرة صغيرة من « البلاستيك »

الأبيض ، وأخذ يشرح لجده كيف أنه أوصى أحد زملائه فى المدرسة ممن يمارس ذووه مهنة صيد الأسماك أن يحضر له هذا الخيط ، وكيف أنه دفع مبلغا لايستهان به من مدخراته الخاصة التى كونها خلال الإجازة الصيفية كمقابل لتأديته بعض الأعمال المختلفة .

كان الشيخ يستمع وهو دهش ، لايستطيع أن يربط بين مايفعله حفيده ويقوله وبين ما يجرى على الساحة حولهما ، لكن دهشته زالت فى النهاية عند ماعرف أن ( خالدا ) أحضر هذه الخيوط الشفافة ليستعملها فى إرسال طائرته الورقية فى الفضاء ، وطالما أن جنود الاحتلال يتربصون ويتعقبون الطائرات الورقية التى تحمل شعارات وطنية أو ألوان علم فلسطين فسيصعب الخيط الشفاف من مهمتهم دون شك ، وستظل طائرة خالد تحمل ألوان علم فلسطين – الأسود والأبيض والأخضر والأحمر – ستظل ترفرف عاليه دون أن يعرف راصدوها مصدرها .. وبالفعل ، طير خالد طائرته ، وأرسلها بكل مالديه من خيط جديد ، حقيقة لم تكن الخيوط شفافة تماما ، ولكنها لم تكن ترى بسهولة على أية حال .

كان منظر الطائرة وهى تتراقص بالهواء وفيه ومعه منظرا جميلا يأخذ بألباب خالد وكان يهتف فى جذل كل عدة دقائق .

– ها هو علم فلسطين مرفوع فى سماء فلسطين رغم أنف هؤلاء الكلاب .

ونسى خالد كل شيء ، نسى جوعه ، ونسى واجبه المدرسى ، ونسى الأحداث المؤلمة التى صادفها منذ وقت ليس بالبعيد ، وشاطره جده جذله وحماسه أيضا ، ولم يشأ أن يتعجله فلم يتبق الكثير على آذان المغرب ولن

يستمر ( خالد ) ممسكاً بخيوط طائرته هكذا بعد أن يرخى الليل سدوله ، فقطعا سيعضه الجوع بنابه وقطعا سينزلان سويا ويبدأ خالد فى عمل واجباته المدرسية بعد تناول الطعام .

اقترب ( خالد ) دون أن يشعر - من سور السطح وقد تعلقت عيناه بطائرته ، ممسكا بطرف الخيط يداعبها بغمزات متتالية من ساعده جعلها تتراقص وتتمايل برشاقة وخفة ... كان السور غير منتظم الارتفاع ، فقد تآكلت بعض جوانبه وتساقطت بعض لبناته مما جعله شديد الانخفاض ، شديد الخطورة فى كثير من الأماكن .

اقترب ( خالد ) كثيرا من أحد الأماكن المنخفضة بالسور وصرخ الجد على الفور - احترس .. لاتقترب من السور أكثر من هذا . وفطن ( خالد ) لاقترابه الخطر فاستجاب بالابتعاد على الفور .. ولكنه لم يفطن لوجود تلك السيارة الرابضة فى ناصية التقاطع القريب ، وبالطبع لم يلحظ أنها من طراز ( الجيب ) وأن من بها من جنود إسرائيلين يرقبونه هو وطائرته بنظرات يملؤها الغيظ الشديد .

عاد خالد يقترب من جده ، وجلس القرفصاء قبالته وقال بإشفاق - لقد اقترب الغروب ، وأصبح الجو أكثر برودة .

ورد الشيخ بهدوء - فعلا لقد بدأت آلامى تعاودنى ، يمكنك أن تلم خيوطك وتجمع طائرتك الآن .. وتعاود غدا إن شاء الله .

- لقد قلت لك ياجدى أن لدى عملا أود القيام به قبل النزول إلى أسفل :

- أظنك فعلته ياخالد

- ليس بعد ، لكن لاتقلق سانفذه الآن على الفور .

قام ( خالد ) من مجلسه أمام جده ، واقترب من إحدى العوارض الخشبية المخصصة لحبال الغسيل وأخذ يربط فيها طرف خيط الطائرة بعناية بالغة وهو يشرح مايفعله قائلا فى جذل - بدل من أن نلم الطائرة اليوم ونطيرها غدا .. سأثبتها هكذا حتى يظل هذا العلم مرفوعا ليل نهار ، وإلى الأبد .. مارأيك ياجدى ؟ أليست فكرة رائعة ؟ ..

وفى تردد أجاب الشيخ - فى الحقيقة ياخالد ....

لم يكمل الشيخ ( محمود ) عبارته إذ انهال طرق عنيف على باب البناية .

ولم ينتظر الطارقون ، بل اقتحموا البناية بعد تحطيم بابها وأخذوا يتقافزون فوق درجات السلم حتى أصبحوا فوق سطح البناية قبل أن يعى الشيخ وحفيده مايحدث .

كانوا ثلاثة جنود ورابعهم ضابطهم .. أشار الضابط إلى أحد جنوده فذهب إلى طرف الخيط المثبت فى العارضة الخشبية ولفه حول راحته وجذبه بعنف ليقطعه ، وانطلقت منه على الفور صرخة ألم ، وسيل من السباب لقد حز الخيط الرفيع راحة يده وأدماها ، وقام الجندى بفك الخيط حول راحته بعصبية وهو يكمل سبابه ، ثم تعلق بالعارضة وجذبها نحوه بعنف فكسرها .

أطلق الضابط بعض أوامره باللغة العبرية ، تقدم إثرها جندى آخر ليكمل عمل زميله وأخذ يقوم بجمع الطائرة وتجميع خيوطها بينما توجه

الأول إلى أسفل وعاد بعد قليل وهو يحمل قصافة يبدو أنها كانت ضمن عدة السيارة ، ولم يفته بالطبع أن يضمد جرح يده . تناول الضابط القصافة وجعل يقصف بها الخيوط ويجعلها قطعا صغيرة فى نشوة وتلذذ واضحين ، وفى نفس الوقت كان الجندى قد أوشك على الانتهاء من جمع الطائرة ، حتى إذا أصبحت بين يديه قام بتمزيقها بكل الغيظ والغل وألقى بها أرضا وداس عليها بكلتا قدميه .

كان الشيخ ( محمود ) وحفيده يرقبان مايحدث دون أن ينبسا بكلمة .

ولكن عندما رأى ( خالد ) مافعله الجندى بالطائرة بعد أن مزقها ، واندفع نحوه وأخذ يكيل له اللكمات بقبضته فى بطنه ويقفز إلى أعلى محاولا أن يصيبه فى صدره ووجهه ، وجعل الجندى يدفعه محاولا أن يثنيه عن عزمه ولكن ( خالدا ) استمر غير آبه بدفعاته ، بل نجح بالفعل فى توجيه عده لكمات إلى صدره ، ولكنها كانت لكمات صبى لم يبلغ الحلم بعد .

تقهقر الجندى خطوتين إلى الخلف ، وتبعه ( خالد ) وقد ازدادت ثورته واشتعل حماسه فلم يشعر بالضابط خلفه يتقدم نحوه ويمسك به من ياقته ويجذبه إلى الخلف بقوة وعنف .

سقط ( خالد ) على الأرض بجوار جده وارتطم رأسه بالسور مما أذهله لحظات أفاق منها على الفور وقد اشتعلت نيران الغضب فى جسده النحيل . تلفت حوله ، لمح قطعة من الزجاج المكسور كانت لنافذة من نوافذ الدار فى يوم من الأيام فالتقطها ، ومد جده يده ليمسك به محاولا أن يثنيه عن عزمه وقد أدرك فداحة الموقف لو نجح حفيده فيما ينتويه . حاول ( خالد )

القيام فلم يقدر لتشبث جده به ، ولكنه نجح فى أن يطوح قطعة الزجاج فى اتجاه الضابط العملاق الذى وقف ينظر إلى ( خالد ) وعيناه تقدحان نارا .

انحنى الضابط إلى أسفل وتفادى قطعة الزجاج التى مرقت فوق رأسه مباشرة كسكين متعدد الحدود . وصرخ الضابط فى حنق شديد – ماذا تفعل ياابن الزانية !! .. ياعربى .... يا ..... كانت عربيته تشوبها لكنة غريبة كريهة ، لكنه نطق الشتائم نطقا سليما .

وتحرك الجنود نحو ( خالد ) وقد شهر كل منهم سلاحه فى وجه الصبى الأعزل ، ووقفوا ينتظرون أوامر ضابطهم .

وانقض ( خالد ) واقفا يواجههم . لم ترتعد خلجة واحدة من خلجاته ، ولم يهتز له رمش .

وبصعوبة بالغة قام الشيخ ( محمود ) من مكانه واحتضن حفيده ليحول بينه وبين الفوهات المصوبة نحوه وأخذ يهيب به – كفى ياخالد ... لاتترك انفعالاتك ... تملى عليك افعالك اهدأ فربما ينصرفون .

وقف الضابط يلهث من شدة الغضب .. ووضع كل من جنوده الثلاثة سبابة يده على زناد سلاحه وخيم على المكان صمت كصمت القبور .. ووقف الشيخ يحتضن حفيده وقد أولاهم ظهره وهو يتوقع أن تنطلق الرصاصات الغادرة فى أى لحظة لتصرعه وتصرع حفيده فى آن واحد ، وشرع فى قراءة المعوذتين ...

فجأة ، انطلقت صرخة من إحدى إناث الأرانب فى حظيرة من

الحظائر الخشبية المتناثرة فى أركان المكان .

وفعلت هذه الصرخة فعل السحر فى الضابط وجنوده ، فقد تركوا الشيخ وحفيده وتوجهوا إلى الحظائر يراقبون مابها ، يبتسمون ويتغامزون .

وأصدر الضابط أوامره أخيرا .

وانطلقت رصاصات البنادق تحصد الحيوانات البريئة المسالمة هى وصغارها بلا شفقة وبلا أدنى رحمة .

واقترب الضابط من السور يرقب الطريق تحسبا لما قد يفعله صوت الرصاص المنطلق فوق سطح البناية من ردود أفعال فى المبانى والشوارع المجاورة ، ولما اطمأن إلى أنه ناج بما اقترفت يداه وأن أحدا لن يهاجمه من باب البناية المحطم تراجع قليلا إلى الخلف وفى تراجعه عثرت قدمه فى حطام الطائرة الممزقة ، نظر إلى ( خالد ) ثم إلى الطائرة ، وبصق عليها قائلا — فلسطين ! . ؟ .. هاه ... لايوجد شيء اسمه فلسطين . يوجد فقط إسرائيل والشعب اليهودى .

اعتدل الشيخ ( محمود ) فى موقفه وخاطب الضابط قائلا — هل لى أن أسالك سؤالا واحدا ؟ ... ولم ينتظر الشيخ الموافقة على طرح السؤال بل أردف على الفور — ماهى إسرائيل ؟ وهل يوجد حقا مايسمى بالشعب اليهودى ؟

اقترب الضابط من الشيخ واختلاجات وجهه تنم عن محاولاته الفاشلة فى كبح جماح نفسه والسيطرة على انفعالاته وجعل يتفرس وجه الشيخ وهو

فى حالة لايمكن التنبوء بردود أفعالها من شدة الغضب والغيظ معا ، لكنه لم يرد على السؤال .

وقابل الشيخ نظرات الضابط بنظرات ثابتة شجاعة ، لم يستطع الضابط أن يتحملها فأشاح بوجهه وابتعد عنه . واستمر الشيخ يرمقه بنفس النظرات كما لو كانت كل دقيقة تمر عليه فى هذا الموقف تعود بعمره للوراء عاما أو عدة أعوام ، ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك .

أخذ الضابط يسب ويلعن وهو ينظر إلى الشيخ وحفيده تارة ويختطف نظرات سريعة إلى الطريق أسفل البناية تارة أخرى ، ويبدو أن رأيه قد استقر على أمر مافى النهاية فقد ابتسم ووجه حديثه للشيخ بنفس اللكنة الغريبة الكريهة ،- أظن أن أفضل حل لك هو السجن .. سأقدم تقريرا يضمن اعتقالك فترة لابأس بها ، وعند خروجك من السجن - هذا إذا خرجت - سأسألك أنا نفس السؤال ... ماهى إسرائيل ؟ وهل يوجد حقا شعب يهودى ؟ ، وإنى على يقين أنك ستجيب وستحسن الإجابة .

وأومأ الضابط إلى جنوده أن خذوه . وأحاط الجنود بالشيخ وتحركوا به ناحية السلم والشيخ يجاهد أن تتوافق خطواته الكليلة مع خطواتهم القوية الشابة .

واقترب الضابط من السور يلقى بنظرة أخيرة على الطريق .

وفى لحظة كلمح البصر أو هى أقرب ، اندفع ( خالد ) بكل قوته وبكل عنفوان صبى فى سنه نحو الضابط قاصدا أن ينطحه برأسه فى بطنه ، وبرغم ضخامة جثة الضابط إلا أنه استطاع أن يروغ من النطحة برشاقة

وخفة ويبتعد عن الصبى فى اللحظة المناسبة ، ولم يكتف بهذا بل قام بركله بقدمه فى مؤخرته بكل ماأوتى من عنف .

وصاح ( خالد ) صيحة قصيرة وهو يهوى من فوق سطح البناية .

وأعقب الصيحة سكون تام من الجميع لم يقطعه سوى صرخة الشيخ محمود فى لوعة - خالد .

اندفع الشيخ يجرى ناحية السور الذى سقط منه خالد ، ونظر إلى أسفل ليجد حفيده راقدا على بطنه ساكن الحركة والدماء تنزف من وجهه وتشكل دائرة يتسع قطرها لحظة بعد أخرى . والتفت الشيخ إلى الضابط الذى كان يقف أمامه ينظر إليه مبتسما ابتسامات تقطر سما ثم نظر إلى جثمان الصبى المضرج فى دمائه مرة ثانية ولم يستطع إلا أن يمسح دمعتين فرتا من عينيه رغما عنه وغمغم قائلا للضابط - لقد قتلته ، قتلك الله .

وفى عجرفة وصلف رد الضابط - هات هذا ( ... ) الذى تريده أن يقتلنى ، هاته هنا يصارعنى وسأصرعه أمامك .

أخذ الشيخ ( محمود ) يستغفر ربه وفى نفس الوقت انطلق الضابط وجنوده يضحكون ملء أشداقهم وأغرقوا فى ضحكهم وأخذوا يسخرون بالشيخ وبكل مقدساته .

بكل فتوة شباب غرب وولى منذ دهر بعيد ثم انتفض فجأة يبعث ويستيقظ من جديد ، إندفع الشيخ ( محمود ) يحتضن الضابط العملاق ويدفعه بقوة وإصرار ناحية السور المنخفض . كان يدفعه بقوة اليائس وإصرار الواثق ، قوة تعرف أن المتاح لها من الزمن لتنفيذ ماتريد هو كسر

الثانية وإصرار يعرف أنه لابد أن ينجز هذا العمل فالثمن مدفوع ، أو بعبارة أدق الثمن دفع مقدما كان الشيخ يعرف حق المعرفة أن هذا العمل سيكون آخر أعماله ، فجعل يستميت فى سبيل إنجازه على الوجه الأكمل ، لقد وجد نفسه فجأة قادرا بعد طول عجز فأراد أن يعوض كل ماعجز عنه وكل ماقعد عن فعله بعمل يختتم به حياته ويكون مسك الختام .

كان لتصرف الشيخ وقع الصاعقة على الكل ، فلم يحرك أحد الجنود ساكنا . ولم يستمر الدفع إلا لحظة خاطفة إذ كان السور خلف الضابط مباشرة يفصله عنه خطوة واحدة .. حاول أن يقاوم لكنها كانت مقاومة المذهول المشدوه الذى أصابه هول المفاجأة بما يشبه الشلل ، ونجح الشيخ العليل فى زحزحة هذا الجبل الراسخ إلى الوراء هذه الخطوة الواحدة ، ووقف الجنود وكأن على رؤوسهم الطير يشاهدون ضابطهم يتعثر ويترنح ثم يختل توازنه ويهوى من فوق سطح البناية .

سقط الضابط ... لكنه نجح فى أن يمسك بالشيخ بكلتا يديه جاذبا إياه معه إلى أسفل . هرول الجنود ينزلون السلم قفزا وقد كست وجوههم تعبيرات مختلفة كان الذهول هو القاسم المشترك بينها . وكان صوت ارتطام الجسدين بالأرض من القوة بحيث سمع بوضوح لمسافات بعيدة . أطل من نافذة بيته من أطل . وتوقف فى الطرقات من توقف ، وخرج من حانوته من خرج .. لكن فى دقيقة واحدة أو ماهو أقل ، تجمعت جمهرة كبيرة من الأطفال والنساء والرجال شبابهم وشيوخهم لترى وتتأكد مما سرى من همهمة إثر سماع صوت الارتطام . شاءت رغبة القدر أن تكون رأس الضابط أول مااستقبلته الأرض وكأنما كانت تعلم بأمر هذا الاستقبال سلفا

فتهيأت له بقطعة من الحجر الصلد هشم على الفور هذا الرأس الذى كان يتيه بنفسه وبقدراته منذ ثوان معدودات ، وتناثرت محتويات الرأس وتبعثرت كالزبد الأبيض يختلط بتراب الطريق .

جاءت سقطة الشيخ ( محمود ) فوق الضابط فلم يمت ، وإن كان أنينه المتحشرج ينم عن آلامه ويفصح عن فداحة إصاباته فلقد كسرت ساقاه وشرخ حوضه ، وظن الجنود أن الرجل يحتضر كان ثلاثتهم يقفون فاغرى أفواههم ينظرون إلى ضابطهم فى دهشة غير مصدقين ثم يشيحون بوجوههم من هول منظره ثم يعاودون النظر إلى الشيخ المتداعى تقترن دهشتهم بالغل الشديد من هذا الذى فعل بقائدهم مالم يقدر على فعله بشر من قبل .

تأوه الشيخ ، وحرك رأسه يرمق حفيده بنظرات تفيض حزنا وأسى ، واحتضنت عيناه جسد الصبى المسجى على مقربة عدة خطوات منه ، وخيل إليه أن جسد الصبى يختلج وأنه ينبض بالحياة ، وظن للحظة أن بصره يغشّه وأن حواسه تخدعه وأن ماهو فيه مرجعه إلى السقوط العنيف الذى زلزل قدراته جميعا ، وركز الشيخ بصره الزائغ ولملم أحساسيه المبعثرة ، وجعل يحدق فى جسد الصبى ، وتأكد هذه المرة أنه يتحرك فى مكانه حركات غير ملحوظة واستنتج على الفور أن حفيده لم يمت وعلل هذا بقدرة الأطفال على تلقى الصدمات ثم القيام دون إصابات .

كان الشيخ محقا فى استنتاجه مخطئا فى تعليله . لقد جاء سقوط ( خالد ) فوق أجولة الحشائش التى أحضرها الحاج ( محمد سلمان ) منذ قرابة الساعة وقام بتشوينها بجوار البناية ، وقد تدحرج بعد سقوطه وارتطم أنفه بالأرض مما جعل الدماء تسيل بغزارة من الأنف مسببة بركة صغيرة

من الدماء وذهب الصبى فى غيبوبة خفيفة بدأ فى هذه اللحظة يفيق منها .

كان الجنود الثلاثة قد قاموا بعمل عدة اتصالات من لاسلكى سيارتهم ، كما قاموا بتفريق الجموع وإبعادهم بمسافة كافية عن المكان ، ووقفوا حول ضابطهم الصريع والشيخ المغلوب على أمره وقد نسوا كل شئ يخص ( خالدا ) .

كانوا يتشاورون فيما بينهم عندما تحرك ( خالد ) حركة واضحة هذه المرة .. لحظها أحد الجنود الذى تصادف أن كان بصره ناحيته ، وتحرك الجندى إليه مصوبا بندقيته نحوه ، ولم تغب نوايا الجندى عن الشيخ .. وبإرادة أصلب من الفولاذ .. استجمع الشيخ المحطم كل قواه وتشبث بكلتا يدية بقدم الجندى يلوى كاحله بعنف مما تسبب فى سقوط الجندى بجواره ، وحاول الشيخ محاولة يائسة أن ينتزع منه بندقيته إلا أن الجندى جذبها بقوة وهب واقفا وقام بإفراغ عدة طلقات فى صدر الشيخ الذى استشهد على الفور .

من جموع الأهالى العزل الواقفين غير بعيد يشاهدون مايحدث انطلقت صيحات يزمجرها الغضب الممزوج بكل شئ ، غضب يكتنفه الألم واليأس والبغضاء والثورة والرغبة فى الانتقام . ومن هذه الجموع خرج صبى فى مثل سن ( خالد ) وألقى بزجاجة فارغة فى اتجاه الجنود الثلاثة ، ولم تصب الزجاجة أيا من الجنود ، ولكن أجفل ثلاثتهم من صوت ارتطامها بحائط البناية خلفهم .. وتبع الزجاجة حجرا شج جبهة أحدهم فأطلق ثلاثتهم نيران بنادقهم بطريقة عشوائية على جموع الأهالى ، وجاء رد الفعل مخالفا تماما

لما توقعه الجنود ، لقد شكلت الزجاجات الفارغة والأحجار مايشبه السحابة ظللت المسافة بين المواطنين الفلسطينيين وجنود الاحتلال الإسرائيليين .

أصدر أحد الجنود نداء لزميليه فى صراخ هيستيرى ، فهرع زميلاه خلفه يختبئون فى البناية التى حطموا بابها منذ دقائق ليست بالبعيدة .

فى هذه اللحظات ، كان ( خالد ) قد استرد وعيه كاملا ، ونهض من رقدته يترنح وقد توقف تزيف أنفه ، ورآه الناس فقاموا بتركيز مقذوفاتهم على باب البناية حتى يجبروا الجنود على عدم الخروج وحتى يمنعوهم من مجرد الإطلال برؤوسهم من الداخل ، وحتى لا تكون هناك أية فرصة لهم لاصطياد خالد أو مجرد رؤيته ، وصرخ الكثير منهم يحث خالد على الإسراع فى مغادرة المكان .

نظر خالد إلى جثمان جده ، لكن لم يكن هناك وقت للبكاء .
وانطلقت ساقاه تسابقان تصاعد الأحداث .
انطلق فى اتجاه دار الحاج ( محمد سلمان ) .
ليجعل من الرجل أبا له ، وليجعل من نفسه ابنا له — ليس لبعض الوقت — ولكن طوال الوقت .
طوال الوقت المتبقى له من عمره .
لكن ......
ما هو عمره ؟ وكم تبقى له من حياة يخمد الظلام أنفاسها ؟؟؟

# قضـــاء الـقـضـــاء

علا صوت الحاجب صائحا - ١٦٢ ، فردوس عبد السميع متولى ضد يوسف أحمد خالد .

وتناول القاضى أحد الملفات المتورمة من كاتب الجلسة ، وبنظرة سريعة مدربة تصفح أوراق الملف .

وفى نفس اللحظة ، اقتربت سيدة جاوزت الستين من العمر من المنصة ، وتبعها عن كثب شاب فى العقد الثالث من عمره . ووقف كلاهما أمام المنصة صامتين .

رفع القاضى رأسه فى حركة مفاجئة تتساءل عيناه ثم شفتاه بعد فترة صمت لا تحسب .

- هيه يا حاجة ... هل أحضرت الشهود ؟ .

وبصوت واهن ردت الحاجة - أرجو أن تسمح سيادتك بـ ....

وقاطعها على الفور - أين محاميك ؟ .. هل هو الأستاذ ؟ ( مشيرا إلى الشاب الواقف بجوارها ) .

وانبرى الشاب موضحا - لا .. أنا محامى الأستاذ يوسف خالد .

وتحول إليها القاضى سائلا - أين محاميك يا حاجة ؟ .

وفى شكوى ردت - لم يحضر .

وبامتعاض رد - ما علينا .. أين شهودك ؟ .. لقد أجلنا القضية عدة مرات بناء على طلبك

حتى تحضرى الشهود .

وفى رجاء ردت   - لو سمحت سيادتك .

ورد يتعجلها   - هيــه

وفى توسل أردفت   - اعطنى فرصة أخرى .

ورد مؤنبـا   - هل هذا معقول ؟ .. لقد أعطيناك بدل الفرصة ثلاث .

وفى يأس قررت   - إن الشهود يهربون منى .. لقد تقدمت بإعلام وراثة يثبت صحة أقوالى .

ورد بنفاذ صبر   - إنك تعطلين الدعوى ، إعلام الوراثة لا قيمة له فى هذه القضية لقد سبق وقلنا لك أن عليك إثبات صحة دعواك بشتى الوسائل وقلت إن لـديك شهودا .. أين هم ؟

وردت كمن تبتهل   - إنهم موجودون .. والله العظيم موجودون

ورد يبدى تعجبه   - أين هم إذن ؟؟ .

فأردفت على الفور   - لقد ذهبت إليهم أكثر من مرة ، رجوتهم ، وتوسلت إليهم ، وفى كل مرة ، كل مرة ، يعدون بالحضور ثم لا يأتون .. ماذا أفعل .

ورد مستنكرا   - وماذا نفعل نحن ؟ .. فأنت التى

أقمت الدعوى ، وأنت – وفقا للأوراق التى أمامى – كنت مربية فاضلة ، وتعرفين جيدا أن البينة على من ادعى .

وردت بلهفة

– إن البينة موجودة ، والشهود موجودون ، لكن لا سلطان لى عليهم .

ورد يحاصرها

– وما هو المطلوب منى الآن ؟ .

وردت ضارعة

– فرصة أخرى أنا فى عرضك .

ورد متبرما

– هذا محال . كل مرة تقولين نفس الكلام . إنك تضيعين وقتنا .

– فرصة أخيرة أرجوك .

– هل قرأت الجدول ؟ .

– نعـــم .

– هل رأيت كم قضية تنظر اليوم ؟

– نعم .

– ١٩٠ قضية – أليس كذلك .

– نعم .

– هلا رحمتنى من كلامك الكثير الذى لن يقدم ولن يؤخر .

– يا سعادة « البيه » ، إن ظروفى مع

الشهود صعبة للغاية فمراكزهم كبيرة ، ومناصبهم حساسة .

- هذا ليس شأننا .

- إننى فقط أوضح لحضرتك حتى تلتمس لى بعض العذر ، فأحد الشهود رئيسا لإحدى المؤسسات وهو بدرجة وزير ، والثانى مستشارا لإحدى الهيئات الكبيرة ودائما على سفر بالخارج ، وثالثهم جراح كبير ووقته أغلى من الذهب .

ورد القاضى فيما يشبه الثورة

- وزيرا كان أو رئيسا للوزراء ، هذا لا يهمنا فالقضاء فوق الجميع .

- أعرف هذا جيدا ، لكننى لا أستطيع أن أقوله لهم .

وزفر القاضى ثم سأل بملل

- ألا يوجد لديك شهود غير هؤلاء ؟ .

- ياليت .. فهؤلاء هم كل أقرباء السيدة .. « اعتدال » التى توفاها الله والتى استولى يوسف خالد على شقتها وكل منقولاتها بدعوى قرابته لها ، ويعلم الله أنه ادعاء كاذب تماما .. بالله عليك ساعدنى .. لقد وضعت كل

مدخراتى بعد إحالتى للمعاش وكل ما .......

وقاطعها بلطف هذه المرة

- ياست .. ياحاجة .. كل هذا سمعناه وعرفناه من قبل ، وكل هذا الكلام لا قيمة له بدون شهود .. إننى مستعد لمساعدتك .. هات الشهود وأنا أحكم لك .

وردت وهى تكاد تبكى

- عندما أذهب لمقابلة أحدهم ، أقابله بعد عناء شديد ، وبعد أن يلطعنى بالساعات يقابلنى ويكلمنى كما لو كنت أستجديه ، وبعد أن أرجوه وأستحلفه بكل ما هو غال ومقدس ، يعدنى بالحضور ويعطينى من طرف اللسان حلاوة ، وعندما يجد الجد ويأتى الموعد يروغون جميعا كما ترى سيادتك ...

.........................................................

اعتدل القاضى فى مجلسه وعاد بظهره إلى مسند كرسيه ثم أعلن .

- يا حاجة .. أنا مضطر لرفض قضيتك .. فكل كلامك هذا غير مجد وغير مفيد .

وفى دهشة كاملة أخذ القاضى يحملق فى الحاجة التى انطلقت تلومه وتؤنبه

وقـــد عـــلا صـــوتها واصطبـــغ وجههـــا بحمـــرة قانيـــة

- ما دام القضاء فوق الجميـع ،
وما دمت تريد أن تساعدنى كما تقول ،
لماذا لا تقوم المحكمة باستدعاء هؤلاء
الشهود ؟ .

ورغما عنه رد القاضى بحدة - هذا ليس من اختصاص المحكمة ،
سبق وقلت لك البينة على من ادعى ، كما
أن ....

وبلاوعى قاطعته الحاجة الثائرة - البينة موجودة يا سعادة « البيه » والله
موجودة ، لكن العين بصيرة واليد
قصيرة .. بكل ما لكم من سلطان ،
وبكل ما تمتلكونه من صلاحيات ، لماذا
لا تستدعون الشهود بخطاب رسمى
بتكليف مباشر ، افعلوا أى شئ ، إن
العناوين معى ، وأنا مستعدة أن أحمل
الخطابات بنفسى ، وإذا اتضح لكم
كذبى اشنقونى إن شئتم ، لكـن
لا تتركونى هكذا ، مسلوبة الحق ،
مهيضة الجناح .. هل هذا هـو
العدل ؟ ..
لمن ألجأ يا ناس ؟

وصاح فيها القاضى محذرا — يا حاجة .. يا حاجة ..

لكن الحاجة استطردت غير مبالية — علىَّ أنا ، الأرملة المسنة .. علىَّ أنا ، الثكلى التى لا سند لها ، أن تثبت حقها بكل الوسائل .. ما هى هذه الوسائل ؟ .. وما مقدار مالى من سلطان على الناس ؟ . إذا كنتم تريدون العدل حقيقة ، وأن تحقوا الحق بالفعل ، لماذا لا تستدعون يوسف خالد نفسه وتجعلوه يقسم على المصحف إن كان صادقا وأنا من الكاذبين ثم تستدعوا الشهود بتكليف مباشر ورسمى من المحكمة ، فإن كان يوسف كاذبا وأنا من الصادقين لماذا لا تجعلوه عبرة لغيرة من الأفاقين وتحاسبونه على مماطلته وكذبه فأنا راضية ، لكن لا تتركوا ..

وقاطعها القاضى وقد نفذ صبره — يا ست .. نحن ملتزمون بقوانين ونظم ، وهذه القوانين والنظم تضع إطارا لتصرفاتنا .. فليس لنا أن نستدعى شهودا فى مثل حالتك هذه ، فهذا ضد النظام . وما تطالبين به لا يصلح هنا وإلا كان أولى بالمحكمة أن تنعقد لتقضى

بين الناس فى المقاهى ورغما عنها ،
وبعد أن فقدت الأمل تماما ، ردت
الحاجة ساخرة .
- لو كان هذا يحق الحق ويسرع به ،
فمرحبا بمحكمة تعقد جلساتها على
المقاهى أو « على الرصيف » حتى .

وصرخ القاضى بحدة
- لقد تجاوزت حدودك .. كلمة واحدة
وسأضعك فى القفص وألجمت العبارة
لسان الحاجة .

وقرر القاضى
- الحكم آخر الجلسة .

وتراجعت الحاجة من أمام المنصة فى هدوء ، تجرجر أذيال خيبة أملها ، تنظر إلى الأرض ولا تراها ، وتبعها عن كثب محامى خصمها ، تتلاعب على شفتيه شبح ابتسامة صفراء .

وعلا صوت الحاجب من جديد - ١٦٣ ، شحاته الغلبان ضد عبد القوى أبو سريع .

وعاد القاضى يتناول ملفا أكثر تورما بعد أن نحى الملف السابق جانبا .

فبراير / ١٩٨٩

# العَلَمْ

وقف السيد / رئيس المؤسسة ليشرف بنفسه على رفع العلم الجديد فوق سارية المبنى وجعل ينتظر وصول العلم وقد استشاط غضبا وغيظا ... كانت همهماته وغمغماته تسمع بوضوح للواقفين حوله ، يطلقها بين الفينة والفينة ينفس بها عما يضطرم فى أعماقه من انفعالات شتى – لعنة الله عليكم أيها الكسالى ... هل لابد أن أراجع كل شئ بنفسى : كان قد كلف نائبه ، بالاتصال برئيس المخازن ليتولى صرف العلم الجديد وإرساله مع اثنين من العمال بأقصى سرعة ليتم تركيبه أمام ناظريه ، وها هى عقارب الساعة تلهث تطارد الزمن ويطاردها ولم يظهر العلم بعد .

إن اليوم يوم هام وتاريخى بالنسبة للمؤسسة وكل عامل وموظف فيها ، أما بالنسبة للسيد / رئيس المؤسسة فقد كان يوم جد خطير ، فاليوم موعد زيارة هامة وحساسة قد يكون من شأنها تغيير مجرى حياة رئيس المؤسسة شخصيا وتحقيق ما تصبو إليه نفسه من أمانى وأحلام . لقد شارف الستين ووصل آخر درجات الترقى ولا سبيل أمامه الآن إلا الوزارة أو الشارع ، وها هى الفرصة قد جاءته أخيرا فى هذه الزيارة الهامة الخطيرة ، إنها بدون شك فرصة العمر أتاحتها له السماء ليعرف كبار رجال الدولة بالصوت والصورة مدى امتيازه وكفاءته وحسن تقديره وحسن إدارته .

قام بعمل كل الترتيبات وكل التجهيزات ... تفانى فى الإعداد ...

باشر بنفسه أعمال الترميمات وأعمال الدهانات ...

اختار أماكن بارزة زرع فيها لافتات الترحيب والشعارات المدوية ...

كان يقف على قدميه طوال الليالى الباردة حتى الساعات الأولى من الصباح يهيمن على عملية تعليق الصور الضخمة للزائر الكبير فى أركان المؤسسة .

وعندما همس له أحدهم بأن ( الموضة ) هذه الأيام هى الخضرة ، كلفه على الفور بالإسراع فى تخضير كل شبر خال من أرض المؤسسة وشراء ما يلزم من شتلات ونباتات ظل مهما كان الثمن .

لم يدخر وسعا فى عمل أى شئ وكل شئ ... حتى أعمال النظافة ومسح البلاط كاد من فرط حماسه أن يقوم بها بنفسه .

قام بتلقين كل فرد من العمال والموظفين ما يقوله أثناء الزيارة وكيف يرد على أى سؤال قد يسأله الزائر الكبير ، وكيف أن الإجابات جميعها يجب أن تكون جملا تتضمن الإشادة ولو من طرف خفى بالسيد رئيس المؤسسة وأفضاله على المؤسسة وعلى العاملين فيها وإظهار مجهودات سيادته الخارقة فى خدمة بلاده لدرجة أنه أمر بطبع الأسئلة المتوقعة من الزائر الكبير ووضع لها إجابات نموذجية وقام بتوزيعها على العاملين ، وكان يختبرهم من حين لآخر بعقد امتحانات مفاجئة لهم طوال الأيام السابقة على الزيارة . ولم يخل الأمر بالرغم من هذا الجو الإرهابى من مواقف كانت تجعل المحيطين بالسيد رئيس المؤسسة يعطونه ظهورهم ويبتسمون فى صمت كاتمين ضحكات غير محمودة العواقب ... فأثناء مروره الدورى سأله عامل رقيق الحال .

- لو سألنى الزائر الكبير ... ما اسمك ؟ ماذا أقول له ؟

لم يذق رئيس المؤسسة للنوم طعما منذ عرف موعد الزيارة ، فبفضل اتصالاته الطيبة تمكن من معرفة الموعد فى وقت مبكر أتاح له أن يحول المؤسسة إلى ما يشبه الفنادق ذات النجوم الخمسة بعد ما كانت تشبه ( المستوقد ) ذا الخمسة أبواب ... وهو لا يعرف بالتحديد سببا واحدا جعله يقوم بالمرور هذا الصباح الباكر على سطح المبنى ، لكن حمدا لله أنه فعل ، فلقد هاله شكل العلم ، كانت الألوان كالحة بحيث يصعب تسميتها ، والحدود متداخلة بحيث يستحيل تحديدها ، والأطراف متآكلة متهرئة بطريقة مزرية ، والشعار المطبوع فى منتصف العلم غير مفهوم شكلا أو موضوعا ...

كان منظر العلم كفيل بإثارة الهلع فى نفس السيد رئيس المؤسسة ، فكيف يفوته رمز الدولة التى هو أحد كبار موظفيها ، وتبع حالة الهلع موجة من السخط صبها بوفرة على مرؤسيه ، وقام كذلك بتوزيع لفتاته بكرم شديد على الجميع متوعدا إياهم بالهول والويل ... حقا لولا فطنته وذكاءه وجسن متابعته لما تمكن من تصويب أخطاء هذه الحثالة التى تعمل معه والتى لا هم لها سوى الحوافز والإضافى ....

أخيرا وصل العلم ... وها هو يتسلمه بنفسه من رئيس المخازن ، لكن .. لماذا يرمقه الجميع بهذه النظرات غير المفهومة ، رئيس المخازن وعماله ، كذلك نائبه وساعيه الخاص ، هل عليه أن يقول شيئا هل ينتظر منه هذا الجمع أن يفعل شيئا غاب عن باله ؟ .. آه .. آه لقد تذكر ، لقد رآهم يقبلون العلم فى خشوع فى مثل هذه المواقف ، ففعل ، ثم ناوله لنائبه الذى فعل نفس الشئ . وشعر المدير بطعم غريب نفاذ فى فمه وود لو بصق

على الفور ولكنه تماسك ... إن القماش كما لو كان منقوع فى ( النفتالين ) ، نظر إلى نائبه ليرى أى أثر ( للنفتالين ) على ملامحه فلم يجد ، فقرر أن ينسى الموضوع وصاح بصوته الجهورى - خلصونا .. فقام العمال بفرد العلم وثبتوه فى الحبل الخاص به تمهيدا لرفعه .

لكن رئيس المؤسسة لم يتمالك نفسه وصاح صارخا - ما هذا أيها الحمقى ؟ .. وبهت الجميع وأمسكوا أنفاسهم وشخصوا بأبصارهم فى انتظار تفسير من الرجل الذى لم يبخل عليهم بتفسير فورى .

- إن الشعار فى وسط العلم باهت ووضعه غير منظم ومشوه .

واسترسل مستنكرا - ماذا تسمون هذا الرسم الذى يشبه الضفدعة ؟!!

ورد نائبه يذكره - هذه هى الدفعة الجديدة التى أمرت سيادتك باستلامها بالرغم من ... وصفعه رئيسه بنظرة كانت كفيلة باسكاته .

أدرك رئيس المخازن أن دوره آتيا لاريب فقال بتذلل - نغيره حالا يا أفندم .

واستمر صراخ رئيس المؤسسة - ولماذا لم تقم بالكشف عليه قبل إحضاره ؟ ! .. إلى متى الإهمال ؟ !

إن الزيارة على وشك أن تبدأ والمؤسسة بلا علم .. يا للمهزلة .

تم فك العلم فى ثوان ، وهرع رئيس المخازن بعماله ليقوموا بتغيير العلم ، وعادوا بعد دقائق ليحضروا مشهدا وليسمعوا كلاما فهموا منه أن النائب كان يتلقى درسا قاسيا ، الحمد لله ، لقد نفذوا بجلدهم وعادوا بعلم ولا كل

الأعلام ، ليس به عيب واحد ، ولن يجد فيه رئيس المؤسسة ما يمكن أن يؤاخذهم عليه .

أخيرا استقر العلم فى السارية المائلة وأخذ يرفرف فى خيلاء جديد به .

..........................

ها هو الزائر الكبير يترجل من سيارته ، وها هو رئيس المؤسسة يتقدم نحوه ليستقبله بما يليق به من جلال واحترام .

وها هى الزيارة تبدأ وكل شئ يسير وفقا لما خطط السيد رئيس المؤسسة ، فها هو يرد على الأسئلة بأجوبة تأخذ بالألباب .

وها هو يشرح شرحا يستولى به على أفئدة سامعيه . وها هو الزائر الكبير يبدى إعجابه بكل ما يسمعه وبكل ما يراه .

ودفع هذا الإعجاب بالسيد رئيس المؤسسة إلى التمادى فى طلب بعض الطلبات الإضافية والتى لم يكن بنيته أن يقولها ، ولقيت كثير من الطلبات قبولا لدى الزائر الكبير وأيدها وأثنى عليها ، واندفع رئيس المؤسسة منتشيا يلقى بخطب عصماء عن المستقبل واحتياجاته وكيف أن التجربة التى قام بها على مسئوليته الخاصة من الواجب أن تعمم فى كل الأماكن وكل المؤسسات ذات الأنشطة المشابهة ، وشعر أن هامته أصبحت تناطح السحاب عندما رد الزائر الكبير - هذا ما أتمناه ....

فى نهاية الزيارة ، كتب الزائر الكبير بعض الجمل فى دفتر الزيارات الخاص بالمؤسسة ، كلها شكر وثناء وتشجيع للعاملين على بذل المزيد من الجهد والعرق . وشرع الزائر الكبير فى الانصراف .

وجعل رئيس المؤسسة يهرول وراء الحشد الذى أخذ يغادر المكان بعد انتهاء الزيارة .

ولم يبال بنظرات الاستنكار والاستهجان التى رشقه بها كبار الشخصيات التى تسير فى معية الزائر الكبير .

ونجح أخيرا فى الاقتراب ، ولم يفت فى عضده هذه ( الزغدة ) المؤلمة التى تلقاها فى إحدى كليتيه من الحرس الخاص ، ومد يده يحيى تحية الوداع للزائر الكبير الذى كان يتأهب لركوب سيارته والذى لم يبخل عليه بيد مودعة مشجعة تلقاها رئيس المؤسسة بكثير من الامتنان ، ووجدها فرصة أخيرة ليثبت أنه يستحق مكانة أكبر من هذه ، وتقديرا أعلى من ذلك ، ومنصبا أسمى وأهم ، فأخذ يشرح للزائر الكبير ملخصا لدراسة أعدها لرفع كفاءة إنتاج كل القطاعات الإنتاجية فى الدولة .. وأسهب فى الشرح .. كان كل همه أن يسمع كلمة واحدة مؤداها أن الزائر الكبير يود الاطلاع على مثل هذه الدراسة ، لكن الزائر الكبير كان مجهدا ، وكان يستمع بقليل من التبرم وكثير من الإرهاق .

رفع الزائر الكبير رأسه كأنما ليستوعب الكلام الخطير الذى يدلى به رئيس المؤسسة .

وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يراقب العلم الجميل وقد فرد الهواء صفحته وسواها تماما ، وقطع على محدثه استرساله سائلا إياه — هل المؤسسة تتبع جمهورية مصر ؟؟ .

وذهل رئيس المؤسسة .. ووجد الزائر الكبير يبتسم فابتسم مرغما

وغمغم — ( مش ) فاهم السؤال يا أفندم .

وأردف الزائر الكبير — هل هذا ( وأشار بسبابته للعلم ) . هو علم مصر أم ليبيا أم سوريا أم علم العراق ؟ .

وارتج القول على رئيس المؤسسة لكنه جاهد حتى قال — إنه علم مصر يا أفندم ..

وسأل الزائر الكبير بشئ من الحدة هذه المرة — وما هذا الذى فى منتصف العلم .

ورد رئيس المؤسسة على الفور — صقر قريش ياأفندم .

وفى حدة أكبر رد الزائر الكبير — ألم تعرف حتى الآن أن علم بلادك يتوسطه النسر يا أستاذ ؟؟

............................

استقل الزائر الكبير سيارته . وتحرك الركب . وسكتت الهتافات . وانصرف الجميع . وبقى رئيس المؤسسة فى مكانه ثم دار على عقبيه فجأة يبحث عن أحد من مرءوسيه ليصب عليه جام غضبه .

## الوجود

وأسقط فى يد الحاجة مفيده ، ولم تجد ما ترد به ، بل لم تجد ما تقوله ، وضعفت أمام توسلات وحيدتها ، ولم تجد مفرا من القبول ولم تجد بدا عن الإذعان ، فرضخت أخيرا وقبلت .

لقد تزوجت وحيدتها ( تهانى ) منذ قرابة السنة ، وانتقلت لتعيش مع زوجها بعيدا عنها ، صحيح أنها تعيش فى نفس المدينة – مدينة القاهرة – ولكنها كانت فعلا بعيدة عنها كما لو كانت تعيش فى قارة أخرى ، وبعد أن كانت أمام عينيها ليل نهار ، تقاسمها الحياة حلوها ومرها وتؤنس وحدتها وتشاركها كل ساعة وكل دقيقة بل وكل لحظة من لحظات الحياة ، أصبحت لا تراها إلا مرة واحدة كل أسبوع ثم مرة كل أسبوعين ثم مرة كل ثلاثة أسابيع ، وأخيرا أصبحت لا تراها سوى مرة كل شهر تقريبا .

وكم كانت تود الحاجة مفيده أن تقوم بزيارة ابنتها كل يوم أو كل أسبوع على أكثر تقدير ، إلا أن آلام المفاصل الموجعة والتى رزئت بها مؤخرا كانت تجعلها صعبة الحركة ، ثقيلتها ، لدرجة أنها كانت بالكاد تستطيع تلبية احتياجاتها من الأسواق القريبة ثم تعود من هذا المشوار المضنى لتستكين فى شقتها ، لا تغادر مجلسها إلا لتأدية فروض الصلاة أو لتجهيز وجباتها ، وكانت نادرا ما تترك مجلسها هذا على أريكتها المفضلة فى وسط « الصالة » – التى تمثل غرفة المعيشة بالنسبة لها – لغير هذين السببين .

وذات صباح دخلت عليها تهانى وبعد الأحضان والقبلات وبعد السلامات والاطمئنان على الأحوال فاجأت تهانى أمها بخبر سفر زوجها

إلى السعودية فى مأمورية تتبع الوزارة التى يعمل بها ، وأن مدة المأمورية قد تتجاوز السنة . وظنت الأم أن هذا معناه سفر ابنتها هى الأخرى ولكن الابنه أعلنت ترددها فى السفر ، ودهشت الأم من هذا التردد ، وازدادت دهشتها وتحولت إلى امتعاض عندما أخبرتها تهانى أن السبب فى عدم السفر هو حيرتها وخوفها على قطتيها السيامى واللتين تبلغان من العمر حوالى ستة أشهر .

وعندما أهابت الأم بأبنتها ألا تترك زوجها يسافر وحيدا وأن تترك القطتين عند أى صديقة أجابت تهانى أن مصير القطتين سيكون مؤلما للغاية إن هى فعلت .

وتعجبت الأم ...... واستفسرت عن السبب فانبرت تهانى .

— إن كل القطط . وهذا النوع بصفة خاصة ، يألف المكان الذى ولد فيه ، والناس الذين تربى فى وسطهم .

فإذا تغير المكان أو تغير الناس فإنه يشعر على الفور بالاغتراب وعدم الألفة ، وتعتريه حالات تشبه الاكتئاب .

فتجديه قد امتنع عن الطعام والشراب .. ويظل هكذا حتى يصاب بهزال شديد فيموت .

وقد يؤدى شعوره بالاغتراب إلى هجره للمنزل ، هائما فى الطرقات وعلى سلالم العمارات حيث يكون عرضة للأذى المستمر والاعتداء الدائم من قطط الشارع المتوحشة والشرسة والتى لن تتركه يهنأ بلقمة واحدة من فضلات أطعمة الناس .

كما أن هناك شيئا هاما يا أماه .. لقد تربت القطتان سويا .. وأخشى إن تركتهما عند أى أحد أن يفرق بينهما ، وسيكون من الصعب لم شملها مره ثانية .. إن قلبى يتقطع يا أمى لمجرد تصورى لهذا الموقف .. إننى لن آمن عليهما إلا عندك ...

- مستحيل .. إننى أكره القطط .. وأكره رائحتهم .
- آه يا أمى .. لن أسافر أذن .

ورأت الأم قطرتين من الدمع الحائر تائهتين فى عينى الابنه ، فرق قلبها وسألتها .

- لكن هذا البيت بالنسبة لهما .. مكان غريب أيضا ..

وردت الابنة بدون تفكير حيث إنها قد جهزت لكل شئ .

- سأقوم بإحضارهما إلى هنا وأمكث معهما طوال النهار وأعود لبيتى قرب المساء ثم أزورهما فى اليوم التالى وأطعمهما بنفسى وهكذا لمدة يومين أو ثلاثة أيام حتى يألفاك ويألفا المكان ومن ثم يمكننى أن أسافر وقد تعودا غيابى وتعودا وجودك أنت وبالتالى أكون مستريحة البال مطمئنة الخاطر .

وأسقط فى يد الحاجة مفيده ، ولم تجد ما ترد به ، بل لم تجد ما تقوله ، وضعفت أمام توسلات وحيدتها وأمام دموعها ولم تجد مفرا من القبول ولم تجد بدا عن الإذعان ، ورق قلبها بعد معرفتها ما سيؤول إليه مصير القطتين لو تركتهما فرضخت أخيرا وقبلت ولم تستطع أن تكدر صفو الإبنة أو أن تكسر خاطرها .

وجاءت القطتان* واستقر بهما المقام فى شقة الحاجة مفيده . كان بندق ذكرا وكانت مشمشة أنثى وليس الذكر كالأنثى . كان من السهل منذ الوهلة الأولى تمييز الذكر عن الأنثى ، من تكوين الجسم ، من حجم الرأس واستدارته ، من صوت المواء وطريقته ، كان مواء الذكر فيه نوع من الاعتداد بالنفس أما مواء الأنثى فكان فيه استصراخ للنجدة ودعوة للمساعدة وإهابة بالأخذ ، حتى فى حجم الشعور بالغربة وعدم الألفة كانت مشمشة أكثر اغترابا وأكثر احساسا بالضياع وفقدانا للطمأنينة .

وبالرغم من الأسلوب الذى تم به نقل القطتين من البيت الذى ترعرعتا فيه إلى مقرهما الجديد إلا أنه ما كاد يمضى على غياب تهانى عنهما أيام قلائل حتى بدأت القطتان فى الجوس والتجوال داخل الشقة بحثا عن شئ افتقدتاه وعبثا حاولتا أن تشمشما كل مكان وكل ركن ، وعبثا حاولتا أن تناديا وتموءا بكل الطرق وبكل الألحان لكن بلا سميع وبلا مجيب .

وكأنما يئست القطتان من البحث ومن النداء ، فكفتا ، ثم زهدتا فى الطعام . وبدأت الحاجة مفيده تشعر أن حالة الاكتئاب التى حدثتها عنها ابنتها قد اعترت القطتين بالفعل ، وكان هذا الوضع وهذا الحال يحزان فى نفسها حزا فأخذت تبذل كل ما فى وسعها لتدليلهما والمسح على جسميهما والربت على رأسيهما وتقديم طعام من الأسماك يوميا حتى تخرج القطتان من هذه الحالة النفسية السيئة .

وبدأت القطتان تستشعران هذا الفيض الجديد من الحنان ، وبدأت

---

* تجاوزا تم استعمال المثنى المؤنث .

تتعودان على الحاجة مفيده وعلى رائحتها وعلى طريقتها فى تقديم الطعام ، وتعرفتا على نداءات الحاجة مفيده سواء بالاستدعاء أو الاستبعاد ، سواء بالترحيب أو بالزجر ، بل لقد تعودت القطتان أخيرا على مشوار الحاجة مفيده إلى السوق وعرفتا وقع خطواتها وهى تصعد السلم فى تثاقل وإعياء وكانت الحاجة مفيده تسمع مواء الترحيب صادرا من الداخل بمجرد أن تولج مفتاحها فى الباب فتهش وتبش فرحة بأن هناك من ينتظر رجوعها ومن يرحب بعودتها ، ولكنها بالرغم من هذا كانت تفضل ألا تجد نفسها متورطة فى استضافة هاتين القطتين . لقد كانتا فى بادئ الأمر غريبتين لاذتا بحماها رغما عنها ورغما عنهما أيضا ، وكانت ظروف سفر الابنة والأطوار المختلفة للقطتين والتى كانت تلحظها الحاجة بمزيج من الإشفاق والألم قد جعلتها تشعر خلال الفترة الأولى لانتقال القطتين للعيش فى كنفها أنها كما لو كانت تتعامل مع طفلتين يتيمتين من البشر فقدتا عائلهما بغتة وفقدتا معه كذلك المأوى الذى نشأتا فيه فضاع منهما الحنان وضاع منهما الأمان .

كان هذا الشعور هو المحرك الرئيسى لكل تصرفات الحاجة تجاه القطتين فأسرفت فى الإشفاق عليهما ومحاولة التسرية عنهما وضحت بالكثير فى سبيل ذلك سواء فى تقديم وجبات فاخرة أو فى مداعبتهما أو فى المسح على رأسيهما ومحاولة إحتوائهما حتى لا تتركهما وحيدتين تعانيان هذه الحالات المؤلمة .

ولكن الآن وبعد أن ألفت القطتان المكان وذهبت عنهما حالة الاكتئاب وحالة الضياع وبدأ شعورهما يتأكد يوما بعد يوم أن البيت بيتهما وأن الحاجة مفيده لا تقل حنانا وأريحيه عن تهانى بدأت الحاجة تشعر بعدة

منغصات تضايقها وتقلق راحتها بل وتقرفها أيضا .

كانت فضلات القطتين تزداد يوما بعد يوم ، وكانت رائحتهما تتركز يوما بعد يوم ، وبدلا من قيامها بتنظيف الحمام مرة كل صباح أصبحت تنظفه مرة فى الصباح وأخرى فى المساء ثم أصبحت تنظفه فى الآونة الأخيرة صباحا وعصرا ومساء ، وكانت أعمال التنظيف بالنسبة لها من الأعمال المضنية بسبب آلام المفاصل الموجعة التى تعانى منها .

كذلك بسبب إسراف الحاجة مفيده فى الإشفاق على القطتين فى ليالى الغربة الأولى ، كانت تصطحبهما معها إلى فراشها حتى تهدىء خاطرهما وتهدىء من روعهما حيث كانت القطتان تذرعان الشقة جيئة وذهابا بحثا عن تهانى . فكانت تأخذهما معها حتى تؤنسهما لتناما ، وبالتالى تستطيع هى أن تنام واستمرأت القطتان هذا الوضع فكانتا تفضلان فراش الحاجة عن أى مكان آخر فى البيت ، حتى عندما جهزت لهما علبة من الكرتون تناسب حجميهما لتناما فيها رفضت القطتان استخدام هذا الفراش أثناء الليل فكانتا تستخدمانه أثناء النهار فقط بغرض الاسترخاء أما أثناء الليل فكان يحلو للقطتين وخاصة مشمشه أن تستيقظ فى جوف الليل وتقفز إلى أحضان الحاجة مفيده وماهى إلا دقائق حتى يتبعها بندق ، وعبثا تحاول الحاجة مفيده إبعادهما أو حتى مجرد إزاحتهما من جوار رأسها ولكن أبدا ، فلقد أصبح البيت بيتهما والفراش الرئيسى فيه فراشهما . وحاولت الحاجة مرة أن تغلق الباب دونهما وتستأثر بالفراش وحدها إلا أن حل هذه المشكلة بالنسبة لبندق ومشمشة كان فى منتهى السهولة ، إذ أخذتا تموءان خارج الباب مواءً يمزق نياط القلب ، كذلك أعملا مخالبهما فى الباب المغلق مما

جعل الحاجة مفيدة تقفز من فراشها وتفتح لهما الباب لتستريح من هذا العذاب ، ولم تحاول بعد هذه الليلة أن تغلق الباب دونهما أبدا ، ولكن بالرغم من هذا لم تستطع أن تألف جلوس القطتين فى حجرها أثناء النهار فكانت لاتستطيع أن تتحملهما سوى ثوان معدودة تقوم بعدها بابعادهما فى زهق ، وكانت القطتان تنظران إليها باستغراب شديد ثم تتلفتان حولهما وتختاران أى مكان آخر تسترخيان فيه .

وإضافة إلى كل هذا ، كانت القطتان تختاران وقتا عصيبا للعبث ومداعبة الحاجة وكان هذا هو الوقت الوحيد الذى لايمكن للحاجة أن تتقبل فيه أى مداعبة على الإطلاق . كان الوقت المفضل لبندق ومشمشة هو وقت أداء فريضة الصلاة ، كانت القطتان تتصرفان كما لو كانتا تنتظران هذا الوقت بالذات عن عمد وبشقاوة مقصودة وبنية مبيتة . كانت الحاجة تبدأ الصلاة ، فيقف بندق على رأس السجادة فى ناحية وتقف مشمشة على رأس السجادة فى الناحية الأخرى وينتظران لحظة سجودها ، ثم تقوم القطتان بغرس أنيابهما بهدوء فى أصابعها سواء كانت راحتها مبسوطة أمامها على السجادة أو كانت أصابعها تتحرك أثناء إرتكاز كفيها على ركبتيها عندما تقرأ التشهد ، ولم تكن القطتان تتعمدان الإيذاء أو الإيلام وفعلا لم تكن العضة فى حد ذاتها بموجعة لكنها كانت تسبب غيظا شديدا وارتباكا أشد للحاجة مفيده التى لاتستطيع أن تقاوم تأثير هذه الدغدغة الهادئة فلا تقدر أن تكتم ضحكتها التى تفلت منها رغما عنها الأمر الذى يجعلها تعيد صلاتها من جديد بعد أن تقوم بطرد القطتين شر طردة وتغلق عليها باب حجرتها .

تعودت الحاجة مفيده هذه الأوضاع الجديدة بشقتها ، ولكنه كان تعود الأمر الواقع والقضاء والقدر الذى لامفر منه ، إذ أنها لو خيرت بين بقاء القطتين وذهابهما للجحيم ، لاختارت الثانية ، ولكنها فعلا كانت تتحمل من أجل خاطر ( تهانى ) .

ومرت الأسابيع تلو الأسابيع والشهور تلو الشهور ولاحظت الحاجة شيئا جديدا . كانت هناك قصة حب تنمو وتترعرع أمام عينيها وتحت بصرها ، كان بندق ومشمشة من أب واحد وأم واحدة . وحتى فترة قريبة كانت العلاقة التى تربطهما أشبه بالإخوة منها بأى شيء آخر ، كانت شقاوتهما ومداعباتهما مع بعضهما تأخذ شكلا بريئا ساذجا ، إلا أن ماتراه الحاجة مفيده الآن بدأ يأخذ شكلا آخر . كان مايحدث الآن نوعا من الحب الذى مازال عذريا وإن شابه بعض الهنات الغريزية . وبدأت مداعبات المحبين هذه تستهويها وتسليها وتجعلها تتحمل باقى المنغصات الأخرى ، ولكن رويدا رويدا كانت قصة الحب تتطور وتزداد إلتهابا ، وإزداد الإلتهاب فأصبح اشتعالا شمل كل بقعة وكل ركن فى البيت ، وانقلبت التسلية التى كانت تجدها الحاجة مفيده فيما تراه إلى شيء آخر أبعد مايكون عن التسلية ، وتعدت هذه التسلية كل الحدود وخرجت عن كل المألوف وكان أقرب وصف وجدته الحاجة مفيده لما تعيشه أنه ( كابوس يقظة ) .

كانت جرعات النشاط والحيوية فى هذا الحب القططى تزداد كل يوم وتزداد معها عمليات المطاردة ومن ثم عمليات الكر والفر وكانت النتائج الدائمة لهذه العمليات العسكرية هى حدوث خسائر فى معدات الحاجة .

كانت مشمشة تنظر فى عينى بندق فتشعر بإشعاعات غريبة جديدة تثير فيها وفى جسمها مشاعر جديدة غريبة أيضا ، وبما أنها أنثى فهى عادة تفعل ماتفعله الإناث ، تحاول أن تدعى أنها زاهدة وأنها غير راغبة وتظهر ذلك بطريقتها القططية فتنطلق كالصاروخ غير مبالية بما يصادفها من آنية أو أكواب أو أى مهمات تكون الحاجة قد أمضت وقتا طويلا فى ترتيبها وتستيفها ، ويرى بندق ماتفعله مشمشة ولو عرف الحقيقة وانتظر فى مكانه كما هو غير مكترث بما تفعله مشمشة لعادت إليه ، ولكنه حماس الشباب وحميته تدب فى أوصاله فينطلق وراءها بسرعة تفوق سرعتها وبتهور أحمق من تهورها غير مبال هو الآخر بأى شىء أمامه لاتحركه سوى غريزة الذكر وشعوره بأن كرامته موضع اختبار . وتكون النتيجة الحتمية لهذه المعارك حامية الوطيس هى الخسائر تلو الخسائر والتى تتفاوت قيمتها وفقا لزمن المطاردة وهل الحاجة مفيده موجودة لتنقذ مايمكن إنقاذه أم أن البيت خاويا للعاشقين ، كذلك تتفاوت قيمتها وفقا لمكان المطاردة وهل تحدث فى حجرة النوم أم المعيشة وياللمصيبة لو حدثت فى المطبخ .

كانت صرخات الحاجة مفيده والتى لم تتعود رفع صوتها أبدا تلهيهما أحيانا عن استكمال المطاردة ولكن فى أغلب الأحيان لم تكن القطتان تشعران حتى بوجود الحاجة مفيده نفسها ، وكثيرا مارددت الحاجة مفيده - لعنة الله عليكما لماذا لاتتزوجان فى هدوء ؟؟ .

ومرت أيام طوال على هذه الحال والحاجة مفيده تسكن فى نفس الشقة التى أصبح يمتلكها بندق ومشمشة والتى تغيرت معالمها كثيرا عما كانت

قبل حضورهما . فكثير من الأدوات والآنية أختفت إلى الأبد والأشياء الثمينة والتذكارات الغالية بالنسبة للحاجة تم تخبئتها بعناية وتم إصلاح زجاج أبواب الحجرات كمتاريس ضد المطاردات الغرامية وتم إصلاح أبواب الدواليب المواربة وتركيب ترابيس لإحكام إغلاقها .

وبالرغم من كل احتياطات الحاجة مفيده إلا أن هذا لم يقلل من حجم كابوس اليقظة الذى كانت تعيشه ولم يقلل كذلك من حجم الخسائر التى تمنى بها يوما بعد يوم ، وأصبحت مشاكل القطتين بالفعل تفوق قدراتها وإمكانياتها وأصبح الجانب المزعج فى سلوك القطتين يفوق الجانب المسلى ، وبدأ الضجر يملأ كيانها ويدفعها إلى التفكير جديا فى التخلص من بندق ومشمشة . ولكن كيف ؟ .

وذات صباح . كانت الحاجة مفيده تقوم بتنقية الأرز فى المطبخ وهى مختنقة مكدرة ، إذ أنها استيقظت فى الصباح فوجدت إحدى الأكواب المفضلة لديها والأثيرة عندها والتى تستمتع بشرب الشاى فيها قد تحولت إلى شظايا مبعثرة فوق أرضية المطبخ فقامت بجمع أشلاء الكوب الذى تم إخراجه من الخدمة على يد بندق ومشمشة وهى تسب وتلعن فى سرها اليوم الذى رأت فيه القطتين ، وأجهدتها عملية التنظيف أيما إجهاد فجلست تستريح ثم قامت بعد قليل وهى فى أشد حالات الغيظ والكمد لتبدأ برنامجها اليومى فى المطبخ . كانت تجلس على كرسيها المريح أمام نافذة المطبخ التى تعبرها أشعة شمس الصباح فتنير المكان وتدفئه وكانت تقوم بعملها وهى مقطبة الجبين تعمل أصابعها فى فرز الأرز حبة حبة بينما يعمل ذهنها ويفكر فيما يجب أن تفعله حيال بندق ومشمشة .

كان مجلسها على كرسيها المنخفض يقع فى وسط المطبخ أمام ( النملية ) وكانت تقوم بتنقية الأرز بحنكة وخبرة ومهارة ، تأخذ من هنا فتضع هناك وتأخذ من هذا فتضع فى ذاك وكانت آنية الأرز المنقى وغير المنقى تتوسط المسافة بين الحاجة وبين ( النملية ) وفجأة وفى مساحة زمنية صغيرة للغاية تآمرت كل الأصوات وكل الحركات واتفقت على السكوت والسكون . سكتت كل الأصوات تماما وسكنت كل الحركات تماما ، فى الشوارع ، فى المنازل المجاورة ، فى سلالم العمارات ، فى مذياع الجيران ، فى المطبخ نفسه . وفى هذه اللحظة المتناهية الصغر ، التقطت أذنا الحاجة مفيدة صوتا غريبا صادرا من الدولاب السفلى للنملية .

ركزت الحاجة مفيدة كل حواسها فى هذا الدولاب وسمعت الصوت من جديد . كانت إحدى ضلفتى الدولاب مواربة ويبدو أنها قد نسيت إحكام إغلاقها بالأمس بعد إخراجها وتجهيزها لكميات الأرز الذى ستقوم بتنقيته اليوم ويبدو كذلك أن إحدى القطتين اللعينتين قد انتهزت هذه الفرصة فدخلت هذا المكان لتعبث بمحتوياته فى غفلة منها . كان الدولاب الذى تصدر منه أصوات العبث هو المكان الذى خصصته الحاجة مفيدة لتخزين المواد الغذائية مثل المكرونة وعلب الصلصة وعلب السمك المحفوظ وعلب السمن وأكياس السكر وشكائر الأرز .

وبالإضافة إلى هذا ، كانت الحاجة تحرص على تخزين بعض أرغفة الخبز المجفف والذى يحلو لها استخراج رغيف منه لتبلله بالماء الساخن وتستعمله فى طعامها ، وكانت تضع هذا الخبز على أحدى الموائد بجوار النملية لكنها

لاحظت إعجاب بندق ومشمشه به وولعهما بتكسيره وبعثرته ، فقامت بتخبئته فى هذا الدولاب أخيرا .

وأصاخت السمع مرة أخرى . ثم هتفت - لعنة الله على هذه القطط ... ما الذى يعجبها فى هذا الخبز الجاف ؟؟ .

وقامت محنقة مغيظة لتفتح ضلفتى الدولاب سويا بعنف وحدة صارخة - ماذا تفعلين هنا أيتها اللصـــــة ؟؟ .

وفوجئت الحاجة مفيدة أن الدولاب خال من أى من القطتين . ومكثت تحدق بعض الوقت حتى تعودت عيناها الظلمة الداخلية للدولاب ولكنها لم تر شيئا فمدت يدها تقلب بعض الأكياس وتحرك بعض العلب . وبلا مقدمات انطلقت من الحاجة مفيده صرخة مذعورة يُمَوِّجها الرعب الذى سيطر على كل كيانها ، وانقلبت على ظهرها بعد أن كانت تجلس القرفصاء أمام الدولاب . إنها تخاف حتى الموت من الفئران وها هو أحد هذه المخلوقات البشعة يكاد يرتطم بوجهها وهو يقفز هاربا من الدولاب ، ولفرط رعبها وذهولها وهلعها لم تشعر بألم الوقوع ولابارتطامها بآنية الأرز الذى تبعثر على أرضية المكان بل قامت على الفور تتلفت حولها لترى أين ذهب الفأر الملعون ولكنها لم تعثر له على أثر ولم تحاول أن تنشط وتجد فى البحث عنه . وخرجت من المطبخ . ووقفت غير بعيد ثم عادت ودخلت ثم خرجت وهى لا تدرى لماذا تدخل أو لماذا تخرج ، ولبثت على هذا الحال غير قليل وهى لاتعرف ماذا تريد أو ماذا تفعل . ثم جمعت شتات نفسها وقامت بتجميع الأرز المبعثر فى المكان وهى تتلفت حولها فى قلق وهلع وأنجزت عملها بسرعة وغادرت المطبخ . وبدون تفكير وجدت نفسها

تهرول إلى حجرة نومها ودخلت الحجرة وبإصرار قامت بحمل القطتين من فوق الفراش وهى تزمجر ساخرة تأكلان وتشربان ... تلعبان وتتغازلان ، والمنزل به فئران ... ياللعجب .. !!

وحملت القطتين وهما تتثاءبان وتنظران إليها باستغراب شديد وعادت أدراجها ثم ألقت بالقطتين فى وسط المطبخ برفق يشوبه عنف ووقفت ترقبهما . ونظرت القطتان حولهما ثم نظرتا إلى الحاجة بلا مبالاة ثم تمطأتا باستمتاع ونشوة ونظرتا للحاجة مرة أخرى ثم مرقتا من جوارها وخرجتا من المطبخ وتوجهتا من جديد إلى حجرة النوم .

وقفت الحاجة مفيدة مشدوهة وهى ترى القطتين تتهاديان إلى غرفة النوم وصرخت وهى تغلى من الغيظ – قطط آخر زمن .. خيبة كبيرة كبيرة ... قطط سيامى .. يالفرحتى ..

كانت الحاجة مفيدة تتصور أن القطتين ستعملان على الفور وبمنتهى النشاط على اكتشاف مكان الفأر ثم تطاردانه بلا هوادة وبلا رحمة حتى تمسكان به وتمثلان به أشنع تمثيل وتنتقمان منه أبشع انتقام عقابا له على مجرد التجرؤ ودخوله الشقة ، عقاب لمجرد دخول الشقة ، بغض النظر عن التعدى على أمان الحاجة وإشاعة الذعر والهلع فى نفسها ، ولكنها فوجئت بهذا التصرف غير المسئول من القطتين مما أصابها بخيبة أمل شديدة جعلت حنقها على القطتين يصل إلى ذروته ، وجعلت مصير القطتين يتحدد تماما بالنسبة للحاجة مفيدة .

وقفت الحاجة مفيدة حائرة ... ماذا تفعل ؟ وكان أول تصرف سليم فعلته هو أن أحكمت إغلاق أبواب الحجرات حتى لايتسلل الفأر الغادر إليها ولكنها لاتستطيع ولن تتمكن من دخول المطبخ بهذه الطريقة ولن تفكر

حتى فى المُكْث فى الشقة ولن تقدر على المبيت فيها إذا ظل هذا المخلوق البشع الكريه بها . ولم تجد أى حل أمامها سوى أن تحاول الاستعانة بجارتها فى الدور العلوى .

ضحكت « الست عليه » حتى اغرورقت عيناها بالدمع عند سماعها تفاصيل القصة تسردها الحاجة مفيدة ، وبعد مناقشات وتساؤلات وبعد مباحثات واستفسارات اقترحت « الست عليه » إعارة الحاجة مفيدة مصيدة الفئران عتيقة الطراز التى ورثتها عن أبيها والتى لم تفشل أبدا فى اصطياد أعتى الفئران وألأمها ، بل لقد جربتها أمامها وقامت كذلك بإمدادها بالذخيرة اللازمة إذ أمدتها بقطعة من الجبن الرومى القديم وقطعة من الطماطم كأفضل غذاء وأحسن طعم لجذب الفئران ، وقامت « الست عليه » بتعليق هذا الطعم بنفسها فى المصيدة بطريقة فنية كطبيب جراح يقوم بإحدى الجراحات الخطيرة .

مكثت الحاجة مفيدة قرابة الساعة عند « الست عليه » ، ثم عادت أدراجها تحمل المصيدة العتيقة وهى تشعر أنها تحمل أفتك الأسلحة وأشدها دمارا ، ولم تشعر بآلام المفاصل هذه المرة سواء أثناء صعودها أو أثناء نزولها .

وضعت سلاحها الفتاك أرضا وأخرجت مفتاح شقتها من طيات ثيابها وفتحت الشقة ودخلت محتضنة حملها الثمين .

مسحت الحاجة « الصالة » بعينيها علها ترى أى حركة غير عادية ووقفت ساكنة تماما وقد ركزت كل إحساسها فى أذنيها علها تسمع أى صوت . ولبثت فى هذا الوضع غير قليل ثم أغلقت الباب بهدوء .

وأعادت النظر حولها مرة أخرى فرأت مشمشه تخرج رأسها من تحت أحد كراسى الطاقم الأسيوطى الموضوع بالصالة وتنظر إليها وهى فى حالة من الهلع الشديد ثم تختبىء تحت الكرسى من جديد .

وضعت الحاجة مفيدة المصيدة فى أقرب مكان وانحنت والتقطت مشمشه من مخبئها واحتضنتها وراعها أن القطة كانت ترتجف أو هكذا أحست هى فنسيت حنقها وغيظها مما فعلته بها القطتان فى الأيام الماضية وأخذت تربت عليها وتمسح رأسها وظهرها وتحدثها ، ولو استمع أى إنسان لحديثها لما عرف أحقيقة كانت تحدث مشمشه أم أنها تحدث نفسها . كانت الحاجة تهمس لمشمشه - لاتخافى سنقضى اليوم على هذا الفأر الملعون .. لاترتعدى هكذا ...... لاتكونى جبانة إلى هذه الدرجة ... لقد أحضرت معى مصيدة لم تفشل أبدا من قبل وسنعطى هذا اللعين مقلبا فيه نهايته السوداء لكن ثقى بى واعتمدى على فالموضوع لايحتاج إلا لقليل من الصبر وطول البال .

كان المدخل المؤدى إلى المطبخ والحمامات يقع فى نهاية « الصالة » إلى اليسار . وكانت الحاجة مفيدة تقف فى وسط « الصالة » تحمل مشمشه وعيناها لاتفارقان باب المدخل ، تريد أن تترك مشمشه لتحمل المصيدة وتضعها فى وسط المطبخ ثم تغلق باب المطبخ . وفى نفس الوقت تريد ألا تدخل المطبخ أبدا أو حتى تقترب منه على الإطلاق .

وضعت الحاجة مفيدة مشمشه برفق فوق أحد الكراسى وتناولت المصيدة ثم وقفت تقدم رجلا وتؤخر أخرى وهى تتجه إلى المدخل المؤدى

إلى المطبخ ، ولاحظت أن مشمشه قفزت على الفور من فوق الكرسى لتختبىء من جديد . وأخذت الحاجة تبسمل وتحوقل وهى تتجه إلى المدخل المؤدى إلى المطبخ ولكنها تسمرت فى مكانها فى أول المدخل وشهقت ثم صرخت فى ذهول يملؤه الإعجاب الشديد - ياولد ...

كان بندق يقف بباب المطبخ وهو يحمل الفأر صريعا بين فكيه ... يتلفت حوله فيهتز جسد الفأر المتداعى والمتهدل بين فكيه .

وأدركت الحاجة على الفور أن بندق لايعرف قيمة مافعل ، وأنه فى حيرة من أمره ... ماذا سيفعل بهذا الفـــأر ؟ .

وأدركت كذلك أنه يتصرف كما لوكان قد أتى أمرا منكرا فهو ينظر حوله بتوجس ويتحرك بحذر ويبدو أنه يبحث عن مكان يختبىء فيه بصيده الذى اصطاده وقنصه الذى اقتنصه ليعيد تقييمه فى هدوء وعلى مهل دون أن يزعجه أحد . وخشيت الحاجة مفيدة أن يتسلل بندق بحمله إلى داخل الشقة فيلوثها بهذه الجيفة القذرة ، فتركت المصيدة جانبا وجلست فى المدخل تسد عليه طريق الخروج ومكثت تنتظر خطوته التالية . وأخذ بندق ينظر إليها وهو بادى الحيرة ولاحظت الحاجة حيرته فهتفت بحماس شديد

- برافو عليك يابندق .. برافو .

وكأنما شعر بندق برنة الإعجاب الصادق فى كلمات الحاجة ، وأن الحاجة تثنى عليه أو أنها أضعف الإيمان لاتلومه ولاتهاجمه ، فلبث ساكنا ، وفى هذه الأثناء تسللت مشمشه ببطء وأخذت تقترب منه ، تنظر إليه وتتفرس فيما يحمل بفضول لايخلو من الخوف ويبدو أنه لم يخلُ من الإعجاب أيضا ، واقتربت أكثر وأكثر ورأى بندق أنها اقتربت أكثر من

اللازم فنهرها وهو يزوم بطريقة خاصة ، تراجعت إثرها على الفور ووقفت هى الأخرى تنتظر خطوته التالية .

نظر بندق نظرة أخيرة للحاجة مفيدة ثم استدار ودخل المطبخ . وتبعته الحاجة مفيدة عن كثب ، وتبعتها مشمشه .

وضع بندق حمله فى وسط المطبخ ووقف أمامه . ويبدو أنه قد استمتع تماما بعملية الصيد وتلهى بها ، إذ أن آثار الدماء كانت تغطى جزءا كبيرا من أرضية المكان . ولم تعرف الحاجة ما الذى جعلها تتذكر الآن أحد الأفلام الأمريكية القديمة التى رأتها مع المرحوم زوجها فى شبابها والتى كانت تحكى قصص المصارعين الرومان فى حلبات المصارعة ، وكيف كانوا يقتتلون حتى الموت وفى النهاية يقف المنتصر فوق جثة ضحيته يتلقى أكاليل الغار وصيحات الإعجاب ويجرع كؤوس النصر مزهوا مرفوع الرأس .

فكرت الحاجة مفيدة قليلا ثم فتحت باب الثلاجة وأخرجت صحنا به بعض قطع السمك المقلى كانت تدخرها لغذائها وقامت بتقطيعها وإخلائها من الأشواك ثم قامت بوضع الصحن بالكامل تحت حوض الغسيل – وهو المكان الذى تعودت فيه القطتان تناول طعامهما – ثم دعت بندق لأن يتفضل ويتسلم جائزته ، وجرى بندق نحو الطبق بعد أن تأكد بنظرة خاطفة إلى الحاجة أنه هو المقصود بهذه الدعوة ، واندمج تماما فى التهام الوجبة الشهية ونسى كل شىء عن صيده وعن غنيمته ولم يلتفت للحاجة وهى تربت على ظهره بامتنان وتقدير .

قامت الحاجة مفيدة – وهى تشعر بالغثيان وتقاوم وتتجلد ألا تنهار – بإخلاء ساحة المعركة من آثار جثة الفأر الملعون . وابتسمت الحاجة

وهى تلحظ الهدوء والطمأنينة يعودان إلى مشمشه ، إلا أنها بدأت تلحظ شيئا جديدا ، إن مشمشه وقفت بجوار بندق وهو يتناول وجبته الشهية ولم تحاول أن تشاركه عنوة فى التهام الطعام ، بل وقفت قريبا منه تنظر إليه ولم تحاول أن تقرب الصحن ، ونظر إليها بندق ثم عاد إلى تناول طعامه الشهى حتى إذا قارب الطعام على النفاذ نظر إليها بندق مرة أخرى وقد بدأ يبطىء من إيقاع الالتهام ويبدو أن هذه النظرة كانت بمثابة الإذن الذى تنتظره مشمشه إذ أنها تقدمت وبدأت تشارك بندق طعامه .

ضحكت الحاجة مفيدة من قلبها فى سعادة ثم سرحت . ويبدو أن ما رأته الآن قد أثار فى نفسها بعض الشجون القديمة وندت عنها آهة تحمل كل حسرتها على ماض بعيد . وفى مساء نفس اليوم وبينما كانت الحاجة مفيدة متربعة فى جلستها المفضلة أمام التليفزيون اقترب منها بندق بخطوات ثابتة ودونما استئذان قفز وجلس فى حجرها وأسند رأسه على فخذها وأغمض عينيه ونام ، وماهى إلا ثوان معدودة حتى نظرت إليها مشمشة ثم تقدمت بشئ من التردد ثم وثبت إلى حجرها ونامت بجوار بندق . ولم تزجرهما الحاجة ولم تنهرهما بل وبمنتهى الرضا وبمنتهى الحنان قامت بالمسح عن جسميهما وتركتهما تنامان فى دعة وأمان .

وفى أثناء الليل كانت الحاجة مفيدة تمد يدها وهى بين اليقظة والنوم تتحسس القطتين وبعد أن يطمئن وجدانها لوجود بندق ومشمشه بجوار رأسها فى الفراش تعود لتغوص فى نومها من جديد .

# « أتيفــان »

# (١) رجــل وامـــرأة

**الساعة السادسة مساء**

- ألووه .
- أهلا زيزى روح قلبى .
- أخبــارك ؟.
- لا ينقصنى سوى رؤياكِ .
- أوحشـــتنى .
- هل عاد زوجك من القاهرة ؟
- لم يعـــد ..
- لقد تأخر كثيرا هذه المـــرة .
- يبدو أننى سأحقق لك أمنيتَك .
- مـــاذا ؟
- إنه لن يحضر الليلة. لقد اتصل بى وأخبرنى أن السيارة تعطلت .. ولن يستطيع إصلاحها سوى صباح الغــد .
- وهل ستبيتين وحدك الليلة ؟
- لقد أخبرته أننى سأبيت عند أمى .
- وهل ستفعلين هــذا حقـا ؟
- إننى أفـكر أن أحقق لك أمنيتــك .

— بجـــــد ؟

— ما رأيك أنت ؟

— هل ستفعلينها أخيرا وتبيتين معى الليلة ؟

— إننى مجنونة وأفـــكر أن أفعلهـــا .

— أرجوكِ لا تلعبى بأعصابى .. سأجن إن لم تفعليها ..

— .......

— من أجـــل خاطـــرى يا زيزى .

— من أجـــل خاطـــرك .

— سأحضر لآخذك ، حتى لا تضيعى وقتا فى العثور على « تاكسى » .

— لا ....

— مـــاذا ؟؟

— لن أحضـــر عنـــدك قبل التاســـعة .

— لِمَ ؟

— أولا سأستحم .

— تعال خذى حمامك هنا .

— لن ينفع .

— لمـــاذا ؟

— إنه حمام خاص جدا ، ولن أجد عندك ما أحتاج إليه .. ثانيا لابد أن أذهب إلى « الكوافير » وبعد أن أنتهى ، سأجىء لك .

- ستتأخرين .
- أبدا .
- لن ينتهى كل هذا قبل العاشرة .
- سأكون عندك قبل التاسعة .
- سأجن لو تأخرت .
- لن أتأخر .
- سأنتظرك على نار .
- باى باى .
- باى باى .

# (٢) امـــــــرأة

**الساعة السابعة مساء :**

+ تجننى يازيزى ... بجد تجننى .
+ هيا بنا إلى « الكوافير » وكفاكِ تلكؤا .. سنتأخر على الرجل .
+ سنستغرق حوالى الساعتين عند هذا « الكوافير » الملعون فهو دائما يضيع الوقت بأحاديثه الكثيرة .
+ حتى لو تأخرنا يازيزى على الرجل .. فهذه مصلحة .. دعيه يتقلب على ناره .. ويشتاق يحرقه شوقه .

+ مارأيك .. لماذا لاتطلبينه من عند « الكوافير » .. نداعبه .. نخبره أنك خائفة وأنك تفكرين فى العودة للمبيت عند أمك .

+ قد يغضب .
+ لن يغضب .. كما أن هذه مجرد دعابة .. فأنت ذاهبة ، ذاهبة .
+ ولماذا تحطيم الأعصاب ؟ ..
+ جوع كلبك يتبعك .
+ إنه إنسان طيب يحبنى . لاحق لك فى وصفه بأنه كلب .
+ لقد مضى زمن عليه طويل ، لم يشتر لى أية هدايا .
+ إنك لم تطلبى منه .
+ المفروض أن يعرض هو .

+ ممكن ، تطلبى منه اليوم أى شىء .. برفان .. حقيبة .. حذاء أو ما رأيك ، حقيبة وحذاء باللون النبيذى لتناسب فستانك الجديد الذى سترتدينه اليوم .

+ فكرة .. سأطلب هذا ، بعد أن أحطم غروره وألعب بأعصابه ، وأظهر له أننى هذه المرة ، قدمت الكثير .. فالمرات السابقة ، كانت دائما خاطفة .

## ( ٣ ) رجـــــل وامـــــرأة

الساعة التاسعة مساء :

- ألووه .
- لماذا تأخرتِ ؟
- لم أنته بعد .
- مشتاق إليكِ بجنون .
- لا أعرف ماذا أقول لك .
- قولى أى شىء .. لكن لا تقولى أنكِ غيرتِ رأيكِ .
- أخشى أن أتأخر أكثر من هذا .. ويرانى أحد وأنا ذاهبة إليك أو وأنا صاعدة عندك فى هذا الوقت المتأخر .
- سأجن يا زيزى لو لم تحضرى .
- ظروفى و ....
- أرجوكِ من أجل خاطرى .
- اسمع .. لو دقت الساعة العاشرة و لم أكن حضرت بعد .. فاعتبر أن الموعد قد ألغى .
- يا لقسوتك .. سيقتلنى الانتظار .
- سأحاول بكل الوسائل .. لكن اعتبر هذا ، حدا فاصلا .. العاشرة تماما .
- سأنتظركِ على أية حال ..
- باى باى .
- ........

## ( ٤ ) رجـــــل

**الساعة العاشرة والنصف :**

+ عليكِ اللعنة يا زيزى .. دائما متقلبة ، متعبة ، كاذبة .

+ لا بد أن هناك عذر قوى .

- أى عذر هذا .. إن ظروفها مثالية الليلة .

- لا تضمن .. كن طويل البال .

- سأطلبها غدا ، وألعنها على هذا الغدر .

- لا تفعل ، سلها أولا .. تصنع اللامبالاة ، حتى لا تنتفخ غرورًا وخيلاء .

- وماذا أفعل بكل هذه التجهيزات .. العشاء والمشروبات والورود .

- لن تلقه فى الشارع طبعا .. احتفظ به فى الثلاجة .

- والورود ؟ ..

لا داعى لكل هذا الأسى ... قد لا يقدر زوجها على إصلاح سيارته فى الغد .. . وقد يستغرق إصلاح سيارته أكثر من يوم .. وقد تتكرر المحاولة غدا ، فلا تفقد الأمل وتريث .

- ولكنى لن أجد للنوم سبيلا ، كالعادة .

- تناول مهدىء أو منوم .. كالعادة أيضا .

- سآخذ قرصا من الـ « أتيفان » فهو مهدىء ومنوم سريع المفعول .

- اجعلهم قرصين ، لن تخسر شيئا ، وارفع سماعة التليفون ، ونم قرير العين ، والصباح رباح .

- سأفعل .

## ( ٥ ) رجـــل وامـــرأة

**فى تمام الحادية عشرة**

— من بالباب ؟

— ......

— من ؟ .. من بالباب ؟

— .....

— رد لعنة الله عليك .. إننى شبه نائم ، مخدر تماما .. من ؟

— ......

— سأفتح .. الصبر ..

— .. ما رأيك فى هذه المفاجأة ؟ ؟

— أمعقول هذا ؟ . زيزى .

— لم تهن على .. فجئت .

— ولكنك قلتِ ...

— دع ما قلت .. وأغلق الباب .. ليتك تقدر ما أتجشمه فى سبيلك .

— تعالِ نجلس . فإن رأسى ثقيلة للغاية .

— هل كنت نائما ؟ ؟

— لا . ولكننى أخذت مهدئا .. سأشرب فنجانا من القهوة وسأفيق تماما بعد قليل .

— هيه .. ماذا لديك للعشاء .

— **الثلاجة عندك .. أخرجي ما تشائين .. هل لى فى فنجان من القهوة ؟**

- سأقوم إلى المطبخ وأجهزه لك حالا .

- .....

- .....

- .....

- لقد انتهيت من إعداد القهوة .... أين الفناجين ؟

- .....

- أين الفناجين ؟؟

- .....

- أين الفناجين ؟.

- .....

- هل نمــت ؟

- ......

- يا للخيبة ... لقد نام الغبى كلوح من الخشب .

ديسمبر / ١٩٨٨

# الطبنجة و... بندقية الرش

كان الأستاذ متولى يشغل منصبا كبيرا فى أحد البنوك وكان يقطن بعيدا عن زحام القاهرة إذ أنه كان يميل للعزلة والهدوء فاختار لسكناه ضاحية المعادى ، ولما كانت الدنيا قد أغدقت عليه من كل شيء فإنه لم يبخل على نفسه بأى شيء . وكانت « الفيلا » الفخمة المجهزة تجهيزا كاملا بكل أنواع الرفاهية خير دليل على هذا .

كان الأستاذ متولى رجلا صحيح البدن ، حلو الحديث ، طيب المعشر ، يتمتع بكثير من الجاذبية ، وكان وحيد أبويه وكان الميراث الضخم الذى ورثه عنهما كفيلا بأن يجعله يعيش فى بحبوبة ويسر حال وكانت الدنيا تسير به ومعه سيرا هينا لينا ، وعلى الرغم من هذا فإنه لم يحاول أن يعب من نعيم هذه الدنيا أو أن يغترف من لذاتها بل إنه لم يفكر يوما فى الزواج أو حتى إقامة أى علاقة من أى نوع مع الجنس الآخر ، ولم يفكر مطلقا فى تكوين أسرة أو حتى صداقات خارج نطاق عمله بل إن صداقات عمله نفسها كانت تنتهى بنهاية يوم العمل نفسه ولم يكن يسمح لها بأن تمتد أكثر من هذا .

كان يحب الوحدة ويقدس العزلة ويعشق الهدوء ، وكان يقضى نهاره فى عمله بالبنك يديره بكفاءة تامة وإخلاص شديد ثم يعود إلى فيلته شبه منهك ليتناول طعام الغذاء الذى أعده له خادمه العجوز ، وبعد الانتهاء من الطعام يقوم ليحتسى كوب الشاى ثم يصرف الخادم بعد أن يلقى إليه ببعض التعليمات بخصوص الغد - هذا الخادم الذى كان يتولى إدارة كل شئون

الفيلا فى الصباح أثناء غياب صاحبها - ثم يقوم فيستبدل ثيابه ويلقى بجسده المكدود فوق الفراش ليغفو إغفاءة قصيرة لم تكن لتتعدى الساعة الواحدة ينهض بعدها ليجهز لنفسه القهوة ويجلس يرتشفها سعيدا بوحدته فى شرفة الطابق الثانى وبجواره كراسات الرسم وأدواته المختلفة التى يمارس بها هوايته الوحيدة أو إن شئت فقل عشقه الوحيد .

كان يفضل رسم المناظر الطبيعية من المخيلة وكان يزاول هذه الهواية من أجل الهواية ولم يسبق له عرض أعماله ، بل لم يفكر حتى فى إطلاع أحد عليها .

وكان يمضى الساعات تلو الساعات فى هذه الشرفة يستغرقه ملكوته الخاص يرسم قليلا ويسرح كثيرا حتى يعتريه الملل ، فيقوم لقراءة ما قد يستهويه ويشتريه من كتب الأدب والقصص ، أو يستسلم لمشاهدة أحد الأفلام الأجنبية المشوهة .

كان هذا النمط من الحياة لايكاد يتغير ، وكان ترتيب الأحداث فى الصباح وفى المساء واحدا ، وكان الأستاذ متولى سعيدا بحياته هكذا بلا أصدقاء بلا خلان بلا نساء .

لايحب أن يزور أحدا أو أن يزوره أحد ، يقدس عزلته ويحب وحدته ويعشق هدوء المكان ، حتى جيرانه عرفوا انطواءه ، ولعبت برؤوسهم الظنون فى بادىء الأمر وأطلقوا ألسنتهم بكثير من الأقاويل كالعادة ثم تركوه لحاله ، وفى النهاية نسوه تماما .

سارت الحياة مع الأستاذ متولى كما يهواها وكما يتمناها ودامت الأحوال

على هذا المنوال ، لكن ليس كل مايتمنى المرء يدركه فدوام الحال من المحال .

فكما يحدث فى كل أرجاء الدنيا ، رزقت الأسرة التى تقيم فى « الفيلا » المجاورة بطفل ، وكبر الطفل ، ودخل المدرسة ، ونجح فى شهادته الأولى ، وطالب الصبى أباه أن يكافئه ، ووعد الأب ، وألح الصبى ، وحاول الأب التسويف ، وازداد إلحاح الصبى فى طلب الحلوان إلى أن رضخ الأب فى النهاية واشترى لابنه « فارس » بندقية رش .

وسعد « فارس » بهذه البندقية سعادة غامرة ، ونغصت هذه البندقية ذاتها عيشة الأستاذ متولى وقلبت كل أوضاع حياته رأسا على عقب ، ففجأة أصبح « فارس » محط أنظار جميع الصبية بالمنطقة ، وبعد قليل أصبح فارس صديق الجميع من يكبره ومن يصغره ، وأصبحت الفيلا المجاورة للأستاذ متولى نقطة تجمع لصبية الحى فى انتظار خروج فارسهم ليبدؤا سويا رحلات القنص والصيد . وبعد فترة وجيزة أصبح « فارس » زعيما لصبية المنطقة ، هو الذى يحدد موعد بدء رحلات الصيد ، وموعد نهايتها ، ونوعية مايتم صيده .

كل هذا كان من الممكن أن يتحمله الأستاذ متولى ، لكن الشىء الذى أقلقه حقيقة وقض مضجعه ، هو عملية الصيد القريبة من « فيلته » .

كان صوت انطلاق المقذوف من البندقية يطرق سمعه بغته فيَجْفُل كما لو كان يتوقع أن يصيبه هو ، ولم يستطع أبدا أن يتعود هذا الصوت وأصبحت جلسات الأستاذ متولى فى شرفة الطابق الثانى عذابا لايحتمل وجحيما لايطاق فهو لم يعد قادرا على الرسم ولا على القراءة ولاحتى على

السرحان . وكان إذا ما ترك الشرفة وحاول أن يتجول داخل فيلته ، أتاه صوت البندقية يطرق سمعه بغتة ، وبنفس الوقع ، ويصيبه بنفس الرعدة التى يصيبه بها وهو فى الشرفة .

وفى عصر أحد الأيام ، وبينما كان الأستاذ متولى عائدا من عمله ، وبينما هو يتأهب لمغادرة سيارته بعد أن قام بإطفاء المحرك وبينما كان يقوم بإحكام غلق الأبواب فوجىء بمجموعة من الصبية تختبىء خلف إحدى السيارات أمامه . كان منظر الصبية وتجمعهم واختباؤهم يذكره بأفلام العصابات .

كان الصبية على وشك الانقضاض على شىء ما ... لبث الأستاذ متولى ساكنا فى سيارته يراقب مايحدث ، تلفت حوله ثم ركز بصره فى الاتجاه الذى يشخص إليه الصبية فلم يجد شيئا ، وعلى عكس مايحدث عادة كان الصبية فى حالة من السكون التام وقد تكوموا بجوار بعضهم وفوق بعضهم . ولم يطل انتظار الأستاذ متولى فقد انطلق فجأة صوت المقذوف الذى جعله يقفز فى مكانه ، وأعقب إنطلاق المقذوف صرخة أطلقها الصبية فى صوت واحد وانطلقوا كقطيع من الذئاب الشرسة فى اتجاه حمامة ضالة أصابها المقذوف فوقعت على الرصيف أمامهم ، غيرَ بعيدة عنهم .

كانت الحمامة بيضاء اللون ، أصيبت على مايبدو بجرح بالغ جعل الريش الأبيض يتخضب بالدم الأحمر الذى ينزف بغزارة من مكان ما فى تكوينها البديع . كانت تسير ثم تقع ، ثم تقف تحاول أن تطير فلا تستطيع فتقع لتقف من جديد محاولة مرة أخرى ، وانطلق الصبية نحوها فى صراخهم الهستيرى وفى جذلهم الصاخب ، وأخذت الحمامة تجرى أمامهم ، ومن

حلاوة الروح أخذت فى مراوغة الأطفال بالغة المهارة شديدة الذكاء ، ولكن الدم الذى نزف من الحمامة البائسة والذى لايزال ينزف إضافةً إلى الإصابة التى يبدو أنها فى أحد أجنحتها ، كل هذا كان يحسم مصيرها سلفا .

شعر الأستاذ متولى بالأسى من أعماقه لهذه الحمامة التى تناضل نضال الأبطال والتى يعرف جيدا نتيجة نضالها ومصيرها الحتمى . ولم يكن الأسى للمصير فى حد ذاته ، ولكن أساه كان سببه هو ماتعانيه هذه الحمامة الآن من ألم ومن يأس ومن هلع وذعر ، وخطر له خاطر ، إن طبنجته المرخصة موجودة بدرج سيارته أمامه ، وهاهى الحمامة على الرصيف بجواره ويمكن أن يريحها مما هى فيه بطلقة واحدة ينهى بها ألمها ويأسها وذعرها وينهى بها أيضا حالة السعار التى أصابت هؤلاء الصبية ، وأخذ يقلب الفكرة فى رأسه ، ولم يطل تفكيره إذ أدرك أنه سيذهب بعيدا بعيدا لو استعمل طبنجته بهذه الكيفية فربما تصادف وجود شرطى أو دورية شرطة فى المكان ومن المؤكد أنه سيجد نفسه فى موقف لايحسد عليه ، ومن الأفضل له أن ينزل من سيارته الآن وهذه الجلبة والضوضاء وحرب العصابات التى يراها أمامه ستنتهى بعد دقائق قليلة على أى حال .

ونزل الأستاذ متولى من سيارته وأغلق بابها وشرع فى اختيار مفتاح الباب ، وحانت منه التفاتة للحمامة البائسة فشعر أن الحمامة تنظر إليه بتوسل وباستعطاف بل إنها تتجه نحوه لتلوذ بحماه ، وتسمر الأستاذ متولى فى مكانه واقتربت الحمامة أكثر ، وتأهب الأستاذ متولى لأن يأخذها فى راحتيه ولم يعد بينه وبينها سوى خطوتين اثنتين ، ووقعت الحمامة تتلوى من الضعف ومن الألم ، وعلى الجانب الآخر كان الصبية قد اقتربوا منها

ولم يعد يفصلهم عنها سوى أن يمد أحدهم يده ليلتقطها من فوق الأرض ، وقرر الأستاذ متولى أن يتدخل وبسرعة ، وتقدم نحو الحمامة وهو يكاد يقفز فى خطوة .

وبسرعة خاطفة جعلت الجميع يقفون كتماثيل فى متاحف الشمع ، ومن تحت إحدى السيارات الواقفة بجوار الرصيف ، إنطلق قط أسود ضخم حمل الحمامة الجريحة بين فكيه وانطلق يعدو بأقصى سرعة وغاب عن الأعين فى لحظات .

تسمر الصبية فى أماكنهم لثوان معدودة ، ثم صاح زعيمهم « فارس » مشيرا إلى مكانما وأخذ يعدو وبندقية الرش تتدلى من يمينه وقد أحكم قبضته على منتصفها ، وبدون تفكير انطلق وراءه باقى الصبية وسكنت الحركة وتباعدت أصوات الصبية وتلاشى الضجيج .

أسند الأستاذ متولى ظهره إلى سيارته بعد أن عاد للمكان هدوؤه ودعته وبدأ يشعر أن قلبه يغوص بين جنبيه واعترته حالة من الاكتئاب والاحباط والشعور بالفشل والهزيمة ووقف ساكنا تماما ينظر إلى بقع الدماء الباهتة التى خلفتها الحمامة المسكينة وراءها قبل أن يختطفها هذا القط الشرس الذى غاب الآن عن الأعين ليقوم بنزع ريش الحمامة بسرعة ويلتهمها على عجل .

أتراه يأكلها حيـــة ؟

أتراها ماتت الآن ؟

هل تتعذب ؟ هـــل تتألم ؟

أتراها كانت تعرف مصيرها عندما أصابتها قذيفة بندقية الرش ؟

أتراها حقيقة كانت تتجه نحوه متوسلة أن ينقذهـــا ؟

أتراها كانت تفضل أى مصير بين يديه عن المصير الذى إنتهت إليه ، تؤكل حية بين أنياب قط شرس ؟

لماذا تأخـــر عليها ؟

لماذا لم ينقـــذها ؟

لماذا لم يطلق عليها رصاصة واحدة من طبنجته ليريحها من هذا الكم الذى صادفته من العذاب ؟

لماذا لم يقم بأى تصرف ؟ لماذا لم يفعل أى شئ ؟

لماذا ترك هؤلاء الصبية يتمادون فى هذا اللهو الذى قد ينقلب يوما إلى مأساة ؟

لماذا لم ينهرهم ؟ لماذا لم يوجههم ؟

لماذا ... لماذا .... لماذا ... وشعر بالدنيا تدور به ومد يديه يضغط بهما على رأسه المشحون والذى يكاد أن يتصدع ، وزفر زفرة مليئة ببخار الألم وأنين الإحباط ثم توجه إلى باب فيلته وهم بفتح الباب ، وتذكر أنه نسى أن يغلق باب سيارته بالمفتاح فعاد إلى السيارة وهو ينتقى من سلسلة مفاتيحه المفتاح الخاص بالباب وعندما شرع فى إيلاج المفتاح تذكر شيئا ففتح باب السيارة ودخلها وجلس أمام المقود ساكنا لفترة لم تطل ثم مد يمناه وفتح درج السيارة وأخرج طبنجته ولفها فى الفوطة الصفراء الملقاة على الكرسى المجاور له ثم حمل الفوطة والطبنجة وغادر السيارة وأحكم إغلاقها بالمفتاح ودلف فيلته وأغلق بابها وراءه .

لم يستسغ الأستاذ متولى طعام غذائه ولاحظ الخادم العجوز عصبيته وتوتره فلم يحاول أن يجاذبه الحديث فجهز له الشاى وانصرف .

وحاول الأستاذ متولى أن يغفو إغفاءته المعتادة ولكن تعذر عليه ذلك فلم يغمض له جفن ولم يعرف للاسترخاء سبيلا ، فنهض وحاول أن يهدىء من ثائرة أعصابه فدخل الحمام وأمضى وقتا طويلا تحت « الدش » الدافىء ثم عاد ليجلس فى الشرفة متململا قلقا ، ولم ينعكس هذا القلق سوى على محياه بينما سكنت وثبتت باقى أعضاؤه . ولم يغير من الوضع الذى اتخذه طوال فترة جلوسه فى هذه الشرفة ، وحتى عندما غابت الشمس وعادت الطيور إلى أشجارها تعزف فى جذل سيمفونية الزقزقة الصاخبة التى تبدأ وتنهى بها يومها ، وحتى عندما خيم الظلام التام على المكان لم يغير من جلسته هذه .

وفجأة ... قفز الأستاذ متولى فى مجلسه كالملدوغ .. فقد كان صوت بندقية الرش قريبا جدا ومفاجئا تماما .. قريبا للدرجة التى جعلته يتخيل أنها انطلقت خلف أذنه مباشرة ، ومفاجئا لأنه تعود أن يسمع انطلاق البندقية بعد سماع تصايح الصبية وبعد تصاعد نقاشهم وجدالهم الأمر الذى يجعله يتأهب لصوت انطلاق البندقية والذى كان يجفل منه بالرغم من هذا التأهب . إلا أنه فى هذه المرة بالذات أجفل إجفالة مشوبة بالغيظ والغضب معا .. ورغما عنه تذكر منظر الحمامة مهيضة الجناح بين أنياب القط الشرس ورغما عنه أيضا شعر بغيظه يتصاعد وبغضبه يلتهب .

وبدأ يلحظ شيئا جديدا غريبا ... إن هناك ضوءا مركزا يتحرك بين

أفرع الشجرة التى أمامه مباشرة والتى تنبت فى حديقة فيلته وتورق أغصانها وتتدلى تظلل حديقته وجزءا غير قليل من الرصيف أمام الفيلا . كان الضوء يهتك ظلمة الأغصان ويقلق دعة وطمأنينة المكان ويقتحم خلوة الأستاذ متولى نفسه فى عزلته الهادئة . وأخذ الضوء يتحرك فى جميع الاتجاهات ، باحثا عن شئ مابين الأغصان ، وذكره هذا الضوء بما كان يستخدمه المتحاربون فى الحرب العالمية أثناء محاولات اصطياد طائرات العدو فى الجو. . وفاجأه مرة ثانية صوت انطلاق بندقية الرش وأعقبه صوت هئ للأستاذ متولى أنه صرخة عصفور أصابته القذيفة وهئ إليه أيضا أنه سمع صوت ارتطام جسد العصفور المسكين بالأرض على الرصيف وأمام باب فيلته مباشرة .

هرول الأستاذ متولى إلى أسفل وخرج إلى حديقة الفيلا وسار على أطراف أصابعه محاولا ألا يحدث أى صوت واقترب من السور الحديدى.

كانت الأسوار الحديدية عالية تكسوها أفرع من النباتات المورقة دائما، تتكاثف بين القضبان وتجعل الرؤيا شبه منعدمة على من تسول له نفسه استراق النظر من الخارج للداخل أما بالنسبة لمن يريد النظر من الداخل فما كان عليه إلا أن يمد يده يجمع جزءا من هذه النباتات بعضها فوق البعض محدثا فرجة تكفى لمشاهدة مايحدث فى الخارج .

ومن خلال الفرجة التى اصطنعها الأستاذ متولى لنفسه استطاع أن يميز « فارس » وصبيا آخر يقف إلى جواره . كان فارس يقوم بالتصويب على أوكار العصافير النائمة تحلم أحلاما هى مضرب الأمثال ، وكان الصبى الآخر يحمل كشافا صغيرا يعمل بالبطارية ويركز ضوءه على هذه الأوكار

بعد أن يحدد أمكانها بين أفرع الشجر ليسهل مهمة « فارس » .

لبث الأستاذ متولى يراقب وهو جالس القرفصاء بجوار السور ولم تستمر مراقبته طويلا إذ سرعان ماانطلق مقذوف جديد من البندقية ، وفى لمح البصر سقط عصفور من بين الأغصان ليستقر على الأرض أمامه مضرجا فى دمه . ويقفز الصبى المرافق لفارس على الفور حاملا العصفور واضعا إياه فى حقيبة صغيرة تتدلى من كتفه ويبتسم الصبيان فى سعادة غامرة .

واستمر الأستاذ متولى فى مراقبته وعاد فارس للتصويب من جديد بعد أن ثبت صديقه الضوء على ضحية جديدة ، وفوجىء الأستاذ متولى هذه المرة بصوت البندقية مصحوبا بانفجار مروع كما لو كان انفجار دانة مدفع وكان الصوت من القوة والشدة بحيث اختل توازنه ، ووجد نفسه ملقى على الأرض . وبدأ يشعر على الفور ببلل فى مؤخرته تسرب إليه من طين الحديقة المشبع بالماء ، وقد شعر بهذا البلل قبل أن يفيق إلى أن الصوت الذى روعه كل هذا الروع لم يكن صوت بندقية « فارس » وإنما كان صوت « موتوسيكل » انفجرت إحدى دورات إشتعاله خارج الموتور . ولبث غير قليل فى جلسته هذه وهو فى حيرة شديدة لايدرى أيضحك غيظا أم يصرخ كمدا ، ثم قام أخيرا يخطو للداخل بخطا واسعة فاغتسل وأبدل ثيابه وتكرر الصوت المزعج الذى يصدره « الموتوسيكل » والذى كان كأنما يتعمد إضافة نكد جديد إلى النكد الموجود بالفعل والذى يملأ كيان الرجل .

خرج الأستاذ متولى إلى الشرفة يملؤه الرجاء أن يكون « فارس »

قد ذهب فى ستين داهية ولكن خيب « فارس » رجاءه وعاد صوت « الموتوسيكل » الملعون يزلزل كيان الأستاذ متولى . وخطر له خاطر مفاجىء لم يقدر أن يقاومه فهرول إلى الحديقة مرة أخرى وأختطف فى طريقه إلى أسفل الفوطة الصفراء بما تحويه وألقى بالفوطة على الأرض بلا أكتراث وأحتضنت راحته طبنجته فى إصرار وعاد إلى مكانه الأول بجوار السور وبدأ يراقب « فارس » وزميله وتأهب الأستاذ متولى وتأهبت معه كل حواسه وأحكم تصويب طبنجته على صدر فارس ، وأنفجر صوت « الموتوسيكل » من جديد وقبل أن يضيع صدى هذا الصوت إنفجر صوت آخر من طبنجة تختبىء بين ثنايا سور الفيلا ويسقط فارس مقتولا على الأرض أمام الفيلا ويغادر الأستاذ متولى مكانه بهدوء ويعود إلى حجرته ليطفىء الأنوار ويلقى بجسده فوق الفراش وينام فى هدوء تام وسعادة غامرة .

**أغسطس** / ١٩٨٧

# عندئذ فقط

## ( ١ ) تداعيـــــات

للمرة العاشرة ، أو العشرين ، وجد النعمان نفسه يردد بصوت خفيض مختلج بيت شعر إمرؤ القيس يتهل لليل طويل أن ينجلى ليأتى بصبح ليس منه بأمثل .

كانت ليلة من لياليه التى يعرفها جيدا ، فلطالما عانى من مثيلاتها من قبل .. ليلة طويلة . طويلة . طويلة .. يعرف دائما كيف تبدأ ولكنه أبداً لم يعرف متى تنتهى أو كيف .إنها تبدأ عادة بعد أن يلج فراشه بعد يوم شاق صعب ، قلق ومضطرب ، وبعد أن يتدثر بأغطيته الثقيلة ويمد يدا متسرعة يتلمس زر « الكمثراية » القريب من رأسه وبلمسة خاطفة تغوص الغرفة فى غيابة الظلمة ، ليجد نفسه بلا مقدمات طافيا فى قمة يقظته ، كما لو كانت خطوط الطول التى عاش بها وفيها وتبرمج عليها كيانه كله قد أصابتها لوثة مفاجئة وقررت أن تستبدل مكانها وأرقامها بأرقام خطوط طول أخرى . مكانها الثلث الثانى – الشرق من العالم – حيث ستبدأ الشمس فى غمر الأرض بنور ربهما .. أو خطوط طول أخرى مكانها الثلث الثالث – فى أقصى الغرب – حيث لاتزال الشمس فى كبد السماء .

**ياالله .. ماالذى يأتى بكل هذه الأفكار والتأملات فجأة بلا مقدمات ؟**

**ومن الذى يستدعى كل هذه الأحداث بلا مجرد إرهاصات ؟**

**ولماذا دائما هذه الشاشة الضخمة العملاقة المتعددة الأبعاد ، المُجَسِّدَةِ**

للصورة ، المُجَسِّمَةِ للصوت ، والتى يجد نفسه يرنو إليها - بالرغم من إغماضه جفنيه - مشاهدا تارة ومشاركا تارة أخرى لما تعرضه من أحداث وقع بعضها منذ كان فتى غض الإهاب والبعض الآخر لم يحدث من قبل وما خطر له على بال ..

إن الشاشة بعروضها تعمل بطريقة عشوائية . تنتقل من الحاضر إلى الماضى بلا مناسبة ثم تقفز إلى المستقبل دونما تمهيد . لتعود إلى ماض سحيق ظن أنه وأده ونسيه .

آه لو أتيح له تنظيم هذه العروض . آه لو يتمكن من السيطرة أو مجرد التنسيق لعملها ولكن أنى له هذا ... !!

وللمرة - لم يعد يفيد العد - تقلب النعمان فى فراشه يستبدل الرقاد على جانبه الأيسر بالأيمن ليعود إلى الوضع الذى كان عليه منذ دقائق قليلة خلت ......

قطعا أنه يستحق أكثر من هذا بكثير .. لقد حاول بشتى الطرق ..وبذل أقصى مافى وسعه .. ولكن الناتج ماكان ليقارن بالمبذول .. وتذكر ( سيزيف ) بطل الأسطورة الإغريقية القديمة الذى حكم عليه برفع الصخرة من سفح الجبل إلى قمته ، حتى إذا نجح واستقرت الصخرة هنالك دُحرجت لتعود إلى السفح من جديد ليبدأ - قبل أن يجف عرقه - فى رفعها إلى القمة العالية مرة أخرى .. وهكذا .. ولكن لكل شىء نهاية حتى الأسطورة كانت لها نهاية .

إن غدا هو ذكرى يوم مولده .. وبالرغم من شعوره دائما بالاكتئاب فى هذا اليوم ، إلا أن الكثيرين ممن حوله يصر على جعلها مناسبة هامة

وسعيدة .. ولكن هل هى مناسبة هامة أو سعيدة حقا ؟ ..إنه يوم لاإرادى فى حياته .. جاء بعد أن اكتمل تكوين نطفة لحظة متعة مختطفة من بين ثنايا القلق والعذاب ، لتتمخض عن تجسيد حى للمعاناة .. ليتك يايوم مولدى - كما قال الشاعر - كنت يوما بلا غد .

إن الشاشة العملاقة لا تزال توالى عروضها بلا تسلسل منطقى تصر على تذكرته بخطواته المتخبطة - منذ يوم مولده - فى حياة رخوة كالرمال المتحركة .. وليت الأمــر توقف على صعوبة تحسس مــوطىء القدم ، أو اختيار الخطوة التالية فى هذه الأرض الرخوة اللينة،بل لقد كانت كل خطوة إلى الأمام وكل لفتة إلى اليمين أو اليسار بمثابة حرب طاحنة فى غابة تسكنها الشياطين التى تؤازرها الجن .. غابة أشجارها وحوش ضارية .. نسيمها نسور جارحة .. حتى حشائشها زواحف ذات ناقعات . وكان الأمر يبدو له كما لو كان كل شيء قد اتحد ضده ليعلن عليه حربا مقدسة للذود عن مجهول لا يعرفه ، ولم يتبينه حتى يومه هذا ...

فالفتاة التى أحبها بكل ذرة فى كيانه وبكل نبضة فى شرايينه ، يوم أن كان له قلب ينبض .. تركته .. وفضلت عليه من هو أكبر سنا وأكثر مالا .. وعندما جاء المال .. فقد الرغبة .. ولكنه أصبح صيدا مُشْتَهًى. . قاوم فى بادىء الأمر . ولم يكن يسمح لأى خيط من خيوط العناكب أن ينسج حوله .. ولكن ، حتى الرغبة فى المقاومة قُووِمَت هى الأخرى ، حتى انتصرت مقاومة المقاومة .. ووجد نفسه تحت إلحاح المحيطين به يوافق على الزواج من أرملة أحد الأصدقاء التى أجمع الكل على اختيارها له .. ووجد بعض السلوى فى مقولة أن الزواج شكل اجتماعى لا بد أن

يستكمله وهوية لا بد أن يستوفيها .. ترى كيف سيكون حاله بعد أن يصبح له رفيق دائم فى هذا الفراش ؟ .. هل ستتحمل زوجته لياليه الطويلة ؟ ..

وهل ستتحمل تعود انتقال هذا الفراش بصاحبه عبر أرجاء المعمورة فى رحلات تشبه الرحلات الأسطورية فى رواية « آلة الزمن » .. ؟ وهل سترضى وتوافق على القفز معه فوق خطوط الطول المختلفة ؟ .. هل ستشاركه هذا التيه ؟ .. بالطبع سيترك لها حرية الاختيار .. لكن هل .. هل .. ؟ ..........

........................

آه .. ما أضيع العمر الذى أفناه فى استصلاح تلك الأراضى .. حتى أصبحت جنة خضراء بعد أن كانت صحراء قاحلة .. لقد حسن من إنتاجية الفدان .. عدل وطور .. بل ابتكر واخترع طرقا جديدة فى الرى – وكانت له أبحاث قيمة فى هذا المجال – .. حتى جاء الإنتاج الوفير .. وكان يؤمن بأن تميز إنتاجه كفيل بفتح كل الأبواب أمامه .. أو هكذا كانت تبدو الأمور فى بادىء الأمر .. لقد نفذوا بالقرب منه مشروعا مطابقا تماما لمشروعه .. فى نفس المجال وبنفس الأسلوب .. وبالرغم من جودة إنتاجه ووفرة محاصيله ورخص أسعاره إلا أنهم ضيقوا عليه ، وأخذت الأبواب توصد فى وجهه الباب تلو الباب .. وعندما احتج على هذا الظلم الصارخ .. طاردوه .. وطالبوه أن يزيح الستار عن أسرار أبحاثه .. فلم يرضخ .. فحجبوا عنه الشمس .. ثم أنشأوا سدا يخزنون فيه أشعتها .. وأخذوا يوزعون منها وقتما شاءوا كيفما شاءوا لمن يشاءوا . وعندما طالب

بحصته المشروعة بعد أن اكتفى الجميع أخبروه أن الأشعة نفذت وأنه سيعطى أولوية فى أول سطوع جديد .. ولما أراد أن يرد كيدهم إلى نحورهم .. غير أنواع الحاصلات وغير طرق الزراعة وطرق الرى ، واستحدث إنباتا لا يحتاج سوى ضوء زهيد ، فضوء النجوم يكفيه .. وفرح عندما وجدهم يتركوه ويذهبون بعيدا .. ولكنهم كانوا هناك عند منابع النهر يغيرون بجراه ويحولونه إلى أماكن بعيدة لهم فيها مآرب أخرى .. حتى فائض الماء .. كانوا يلقونه فى اليم ..................

ما أشد العذاب .. وما أبشع الألم الذى يسببه إطفاء عيدان الكبريت المشتعلة فى جسد طفل فى السابعة .. لقد مضى زمن طويل ولكنه لا يزال حتى الآن وبكل المرارة يذكر بشاعة ما وقع عليه من عقاب ..

لقد استدرجته أمه ليقص عليها ما تفعله الخادمة الجديدة .. وأخذ يقص .. وجلست تستمع وتستدرجه للبوح بالمزيد .. تبدى دهشتها تارة وإعجابها بولدها تارة أخرى .. حتى تطرق النعمان إلى سره الرهيب الذى أراد أن يشرك أمه فيه .. قص عليها كل شيء بمنتهى الصدق وبكل الأمانة .. والسذاجة أيضا ..

إن كان من المحتم أن يجيء إلى هذه الدنيا .. وإن كان من المكتوب أن تلده أمه فى هذا العالم .. فياليت هذا الميلاد تأخر بعض الوقت حتى يتمتع بما يستمتع به أطفال هذا الزمان .. فإن ما حدث له كان كفيلا بتهيئته لبطولة قصص تشبه قصص أفلام « هيتشكوك » .. لولا ستر من الله ..............

إلى أين المسار لو كان أقدم ولو مرة واحدة على ما أحجم عنه عشرات

المرات ؟ .. لماذا لم يقدم مرة واحدة .. لماذا ؟ ..

إن كل الشواهد تؤكد أنها ما كانت لتخذله أبدا .. إنها كانت تقف تنتظر خطوته القادمة .... تتلكأ .. تدعوه إيماءاتها للحركة التالية .. ياالجبنه الذى ضيع منه متعة عمره .. كان فى السابعة عشرة .. وكانت فى السابعة والعشرين ، فى ريعان شبابها وأنوثتها .. وكان فى قمة منحنى حيويته وتدفقها .. ولكن أكان إقدامه مضمون النجاح ؟ .... أكان بمقدوره وهو فى هذه المرحلة من الرجولة اليانعة أن يرضيها ويشبعها وهى ما هى ، امرأة ناضجة مجربة ؟ .. لماذا خشى عدم النجاح ! ؟ إن التكرار يعلم الـ .... كما يقولون .. كما أنه لم يكن قد قطع على نفسه أى عهود بالنجاح الباهر والإمتاع الكامل ، بل أنه لم يفكر أيامها فى إرضائها أو إشباعها على الإطلاق .. كان كل تفكيره فى إرضاء نفسه وإشباع ذاته .. ومن المؤكد أنها كانت ستعذره .. بل من المؤكد أيضا أنها كانت ستساعده وتعلمه وتوجهه ، ولم لا .. وهو بالنسبة لها معين لا ينضب .. لماذا أحجم إذن ؟ . كانت تجربة هامة .. لماذا لم يخض غمارها .. إنه الآن وبعد هذا العمر .. يجد أن تصرفاته كانت حقا غريبة عجيبة لا يبررها منطق ولا يفسرها عقل . ترى ماذا كانت تقول جارتهم لنفسها بعد كل مرة يصلك فيها الباب خلفها تاركا إياها لفراغها الذى أحجم أن يملأه ؟ .. غريب أمرك أيها الزمان مع الرجال .. لماذا تفعل بنا هذا .. ولماذا تسخر منا هكذا ؟ .. فالبندقية الممتلئة بالذخيرة الحية التى لا تنفذ تمنحها لمن لا يعرف قيمتها ، ويهدر ذخيرتها .. بمناسبة وبدون مناسبة . فالبندقية بيد رعناء طائشة مراهقة تطلقها باستمرار ، وأحيانا بلاهدف مطلقا ، اللهم إلا

أهدافا تشبه طواحين الهواء التي حاربها « دون كيشوت » .. وعندما تثبت اليد وتزول الرعونة ويتعقل الطيش وتهدأ المراهقة ، وينضج صاحب البندقية ويصبح رجلا كاملا ، عركته الحياة صقلته التجارب ، يتفهم قيمة بندقيته ، ويعرف كيف يستخدمها بمهارة بعدما حددله القدر هدفا ثابتا .. يجد ذخيرته قد أوشكت على النفاذ أو نفذت بالفعل ...

ولكن لماذا لم يحاول مجرد جس النبض أو حتى الاقتراب الحذر .. هاه هاه .. لقد كان أصغر من أن يجس بحذر أو يقترب بحرص ، وكان وجودها أمامه بكل هذه الفتنة وبكل هذا الإغراء أكبر بكثير من قدرته يومئذ على التحليل وعلى التحايل .. ولكن لماذا يلوم نفسه كل هذا اللوم ؟ .. ويعتب على الزمن كل هذا العتاب ؟ ..

إن ماحدث واستمر يحدث لفترة ليست بالقصيرة .. كان شيئا أكبر منه وأكبر من إمكانياته الذهنية والبدنية .. شيء لا يفسر بالعقل أو يحلل بالمنطق .. كانت هناك قوة غامضة تلجمه وتكبح جماحه دائما .. قوة تسيطر عليه تماما وتأخذه بعيدا عندما يجد الجد وتتهيأ اللحظة .. قوة تجعله يزهد فجأة .. يبرد وهو في قمة اشتعاله .. يعف وهو يتضور .. يتماسك ويتزن ويتصرف كالنساك المتصوفين .. ولكن هذا النسك وذلك التصوف لم يكن ليستمر طويلا .. فبعد أن تخرج الجارة اللعوب .. يجد نفسه قد تحول إلى مجنون حيرة ، مجنون عذاب .. يؤنب نفسه ويلومها أشد ما يكون التأنيب وأقسى ما يكون اللوم على عدم اغتنام الفرصة المتاحة لدخول هذا العالم الجديد المليء بالمتعة والابتهاج وعلى إحجامه عن قطف الثمرة اليانعة والتي يكاد عصيرها يمزق قشرتها من فرط نضجها والتي لو كان مد يده ليقطفها لسقطت قبل أن تمسها يده ...

كان الشيطان ثالثهما وهى بعيدة عنه .. فعندما يفكر فيها أو يتذكرها يجد الشيطان يهرع إليه مع خيالها ومع أفكاره .. لكن عندما تجىء لحظة الواقع ، عندما يجدها تطرق بابهم تستأذن فى دلال أن تستعمل التليفون » - هذا الاستئذان الذى دائما ما يصادف وجوده وحيدا - ، كان الذى يحدث شيئا آخر .. كانت شياطينه كلها تولى الأدبار وتتركه واقفا وحيدا .. يمكث غير بعيد كتمثال أبكم قد من حجر أصم .. ويظل على هذه الحال حتى تغادر .. فإذا ما أغلق الباب وراءها ، عادت شياطينه على الفور لتخرج له لسانها .. لكن من الذى أخرج لسانه للآخر حقيقة ؟ ..

**كان هناك صوتا خافتا يسرى من مكان قصى ومن أبعاد سحيقة يهنئه على عدم الانزلاق .. وكانت هناك مشاعر سعيدة تراوده على استحياء تغبطه على تماسكه واحتفاظه بطهارة ذيله .. ولكن السؤال الذى يلح عليه دائما عندما يصل إلى هذه النتيجة .. هل كان طاهر الذيل حقا ؟ .. ماذا يمكن أن يقال عن مغامراته الملوثة التى كان يمارسها أيام كان تلميذا فى المرحلة الإعدادية ؟ .. ولماذا يسقط من حساباته ممارساته الشاذة فى بداية بلوغه مع « سامى » « دلوعة » الفصل .. ولماذا يسقط من حساباته محاولاته الدؤوب مع « صفاء » أجمل صبى رأته عيناه ، هذه المحاولات التى كانت تبدأ منذ طابور الصباح وحتى خروجهم من المدرسة وركوب « الأوتوبيس » المزدحم سويا ..**

**ماذا عن هذه الفترة المضطربة الشاذة ؟ ........................**

كم كانت التكلفة باهظة ... تغيير نشاطه من الحاصلات الزراعية إلى تربية الأغنام .... كم أمضى ليال قاسية يضرب أخماسا فى أسداس يقدح زناد فكره عله يعرف ما الذى أصاب أغنامه .. عندما أثمرت التربية وبدأت تؤتى أكلها .. وبدأ ينعم بالعائد السخى .. نتيجة مجهوده فى استخراج سلالات جديدة ، وفيرة اللحم كبير الحجم .. فوجىء بهم يقيمون حوله مزارع لتربية الذئاب .... بلا تربية ، بلا تكلفة أو حتى مجهود ، كانت الذئاب تشب فى مزارعهم قوية عفية ، مفتولة العضلات مغمضة العيون .. لا تعرف الفرق بين شاه رضيع وحمل وديع وبين جيفة نتنة ورمة عفنة .. عندما نمت الذئاب وشبت عن الأطواق .. أصيبت الأغنام بحالات غريبة وأمراض عجيبة ... أصبحت تضمر باستمرار وتهزل باضطراد ... كان الهواء يأتى من أعلى حيث تقع مزارع الذئاب وكأنما كانت تلك الذئاب الملعونة تستخلص أوكسجين الحياة من هواء الدنيا وتستحوذ عليه ولا تترك لمزرعته وأغنامه إلا أكاسيد الكربون والنيتروجين ، تخنقها ببطء ، لكن فى إصرار سرطانى ... واحتار أشد الحيرة فى معرفة الداء .. وأضناه البحث عن دواء .. إلى أن عرف بالصدفة البحتة السر فى هذا الضمور وهذا الهزال ....

كان الهواء ينتقل إلى مزرعته مشبعا برائحة الذئاب الكريهة .. وكانت الروائح تسبب للأغنام حالات من الغثيان والقىء المستمر ... وكانت الرياح تهب تردد صدى العواء الملعون ... وكان العواء يتسبب فى حالات مزمنة من الإسهال الدامى .. وحتى يتأكد من صحة استنتاجه ودقة تشخيصه ، قام بنقل بعض الأغنام المريضة من هذا المكان .. وجعل لها

موطنا آخر بعيدا .. موطنا لا يُسمح فيه بتربية الذئاب .. وقام بتغذيتها بنفس الأعلاف وبنفس المعدلات .. فوجدها تعود إلى سابق عهدها .. توقف القيء وبطل الإسهال .. عاد النشاط ودبت الحيوية وتفوقت فى إنتاجها على نفسها كأنما هو بعث جديد .. ولكن عندما أعادها إلى موطنها الأول .. عادت إلى سيرتها الأولى من ضمور وهزال ..

وأخذ يحتج من جديد ، يطالب بهواء بلا ذئاب ، ورياح بلا عواء .. واستجابوا مشكورين .. تركوا له الهواء .. وفى المقابل أخذوا الأرض والأغنام .

وصرخ يحتج للمرة الأخيرة .. ولم يتركوه .. صادروا أحبال الصوت الخاصة بحروف الاحتجاج وتركوا له الأحبال الخاصة بحروف الغناء ليتغنى بما منحـــوه .. وليؤيـــد ويبـــارك ما سلبوه ..............................................

لكن ... المهم أنه فى النهاية .. وصل .

بشهادة الجميع واعترافهم ..... وصل .

ولكن ... ما هو هذا الوصول الذى يصرون على إسباغه عليه ؟ .. وما هو كنهه ؟ .. هل يقصدون النجاح !! .. إنه حتى هذه اللحظة لم ينجح النجـاح الذى كان يبغيه ويتمناه هل يقصـدون السعـادة !! .. ما هى السعادة !! . إنه لم يعرفها .

هل هو الاستقرار !! .. إنه قلق دائما .

هل هو الاطمئنان !! .. لم يستشعره يوما .

هل هو الرضا !! .. قد يستسلم لما تأتى به الأقدار . ولكن رضاه ما اكتمل يوما أبدا . فما هو المقصود إذن بالوصول ؟؟ ... ما هو معناه ، وما هو طعمه ؟؟ .

طيب .. إذا كان هذا هو طعم الوصول .. فما هو طعم عدم الوصول ؟ ... ما هو الفرق بين الوصول وعدمه ؟ .

هل هناك فرق على الإطلاق ؟ .. هل هو فرق كالفرق مثلا بين الحياة والعدم ؟ .. لكن أيوجد حقيقة شيء اسمه العدم ؟ .. إنه يعتقد أن العدم هو الاعتقاد بوجود العدم ... ولكن أين الطعم ؟؟ .. وما هو الهدف ؟؟ .

لقد أراد المال والجاه ، وحارب طويلا حتى جاءه ما أراده ، لكن كان الأوان قد فات ، فقد ذهب الشباب وولى . وتمنى النفوذ والتأثير ، وكافح كثيرا حتى تحقق ما تمناه ، لكن ما الجدوى ، وقد أصبح يتعفف عن استخدامهما . وملذات الحياة ، إغترف منها كيفما شاء ثم وجدها فى النهاية غير مستساغة المعنى ، ووجد ضرها أكثر من نفعها فبعد عنها .

حتى ما فعله فى حياته من خير وما أسداه من معروف .. كان ينقلب عليه .. لا يدرى كيف ؟ . ولا لماذا ؟ . كأنما أصبحت القاعدة هى النكران والجحود ، والاستثناء هو العرفان والامتنان . فما هى ما هية هذا الوصول الذى يحدثونه عنه .. أين الطَعْمْ ؟ . أين الطَعْمْ ؟ . أين الطَعْمْ ؟ .

لقد كان كالجائع المتلهف على كسرة من الخبز الجاف .. فمنحته الأقدار مائدة حافلة .. وبعدما ازدرد كل ما وضع أمامه ، وبعدما شبع وأتخم ..... أفاق إلى أن كل أصناف المأكولات التى التهمها التهاما ، كان ينقصها شيء هام .. ملح الطعام ... أين الهدف ؟؟؟ ........................

..............................................

لقد وافق على الزواج مؤخرا لأنه اشتهى الولد .. فهل سيقدر على إسعاد ولده ؟ ... أو حتى توفير وبث الطمأنينة فى نفوسهم .. هل سيقدر فاقد الشيء أن يعطيه ؟ .. فى هذا الزمن العجيب الغريب – قد – يحدث .. لكن ماذا لو وافته المنية وتركهم صغارا .. يا للمأساة ... أيتام جدد على موائد لئام خالدين ..........................................

............

إنه كثيرا ما يشعر أنه يعيش مسرحية هزلية عبثية ، مسرحية شبيهة بمسرحيات « يونسكو » ومسرحيات « بيكيت » بالذات .. وهو ما زال يذكر كيف عاش وانتظر أبطال « فى انتظار جودو » .. وكثيرا ما شعر أنه هو « من لا اسم له » فى المسرحية التى تحمل نفس الاسم .... مزروع بداخل « جرة » لا يملك الخروج منها ولا يعرف كيف يشكو عجزه ووحدته ...

إن محاولاته الجادة المستمرة فى الحياة ، لم تحقق أهدافه المرجوة .. بل يمكن القول أنها فى مجملها محاولات فاشلة ... فاشلة برغم سلامة النية وشرف المقصد ونبل الوسائل المستخدمة لتحقيقها – أو قد يكون من الأفضل قول – بسبب نبل الوسائل المستخدمة لتحقيقها .... يحلم ويحلم .. ثم يخطط ويخطط ، كى يعمل ويعمل .. وفى النهاية يجد نفسه كمن أفنى وقته يحرث البحر .

يلوح له الأمل .. يداعبه .. يراوده ... يقترب منه .. وعندما يمد يديه ليمسك به لا يجد سوى قبض الريح .. ولكن وبالرغم من هذا الفشل المستمر إلا أنه لم يرضخ ولم يستسلم .. كان دائما يحاول من جديد ، بغض النظر

عما انطبع فى وجدانه من تجاربه السابقة بأن من مسلمات الأمور أن أى جديد لن يكون أسعد حظا من القديم ... إلا أن الأمل البكتيرى كان يستيقظ .. ينمو .. يتكاثر .. يقوى مرة أخرى .. يمنيه بيوم يتغير فيه كل هذا .. يوم يبدأ به حياة جديدة .. أو تبدأ فيه الحياة من جديد .. يوم ميلاد جديد .. يوم خلق جديد .. لكن متى ؟؟ .. إنه لا يعرف ولن يعرف .. ولكن لا بد لهذا اليوم أن يجىء .. وإلا كان الوجود .. والوجود كله .. مسرحيـــــــــة هزليـــــــــة عبثيـــــــــة بالفعل ............................................

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ..

ألا لعنة الله على هذا السهاد .. لقد ذهب السواد الأعظم من الليل سدى .. لماذا تنتابه هذه الحالة المبهمة .. ولماذا هذا الشعور المسيطر بأنه ينام فى حانوت « حاتى » نشط .. أجبره على الرقاد فوق الجمرات .. وأوسده بعناية وسط « الشوايه » ..

وبكل ما أوتى من همة وعزيمة جعل الحاتى يزكى نيران الجمرات .

وبكل ما أوتى من حنكة ومهارة جعل يقلب جسده وسط هذا الأتون الملتهب بغيـة إنضاج كل ناحية فيه وكل جزء يحتويه .

يارب .. بحلمك وحكمتك .. يارب .. بعفوك وعنايتك .

لقد نأى السبات ، وذهب الثبات .. ألا تُخمِد برحمتك يارب هذه الجمرات ..............................................

إنه يشعر ببعض الخدر ، وشىء من الاسترخاء .

أتراه نائما يحلم أنه يقظان !! أم أنه يقظان يتوهم أنه قد نام !!

على العموم لا يوجد فرق كبير ...................

عندما زقزقت العصافير على أغصان الشجرة العجوز التى تقع أسفل شرفة حجرة نومه .. أدرك أن الصباح قد لاح . لم يكن هناك اختلاف بين زقزقة اليوم والأيام السابقة . زقزقة سعيدة ، مرحة نشطة .. لكن كان هناك شيء ناقص جعل من ألحان العصافير سيمفونية غير مكتملة ..

أخذ ينصت من جديد .. يلملم شعاث فكره ويستجمع شظايا حواسه .. هناك بالتأكيد آلة ناقصة فى « أوركسترا » العصافير .. إن اللحن هو هو .. والمعزوفة هى هى .. لكن شيئا ما ناقص .. ما هو ؟؟ ..

.... آه إن صوت الباعة الجائلين لا يصل إليه .. هذا هو الشيء الناقص .. لم يناد بائع الجرائد .. ولا بائع « البليلة » .. ولا اللبن .. كذلك لم يصل إليه صخب وضجيج آلات تنبيه السيارات ومحركاتها... ماذا حدث ؟؟ .. صحيح أنه سمع آذان الفجر منذ فترة .. لكنه لم يسمع صوت آدمى آخر بعد الآذان .. لا حركة واحدة فى الشارع تنم عن دبيب الحياة فيه .. ماذا حدث ؟؟ .. هل انتهت الحياة فجأة على سطح الأرض .. هل تسربت إشعاعات قاتلة من مفاعل ذرى فى مكان ما فغمر الكون بأشعة الموت والهلاك ... هل هاجم العدو الغادر البلاد واستعمل أسلحة حديثة سريعة الفتك بصور الحياة من حوله .. ولكن بماذا يفسر وجوده ؟؟ .. وبماذا يفسر زقزقة العصافير السعيدة على أغصانها ؟ .. هل ستعاوده تأملاته وتراوده شياطين الشاشة العملاقة من جديد ؟ ..لا .. لن يدعها تستحوذ عليه ، خاصة وأن لديه الكثير مما يود أن ينجزه اليوم ، واليوم بالذات ، فهو يوم ذكرى مولده .. وارتباطات أخرى كثيرة .. فلينضو عنه ثوب

الكسل .. ولينهض ليصلى الصبح .. وليسامحه الله فى إضاعة الفجر حاضرا ....

عندما قرر النعمان القيام .. وجد نفسه بجوار الفراش وفوقه .. لم يبذل أى مجهود .. لم يرفع الغطاء .. لم يتمطأ .. لم يتثاءب .. لم يهرش رأسه .. ولكنه كان بجوار الفراش وفوقه .. تلفت حوله غير مصدق لما يحدث معه ... غير مستوعب لما يجرى له ... حاول أن يسوى هندامه فلم يجد لنفسه هنداما على الإطلاق .. تلمس جسده .. لم يجده .. وبدأ الذهول الصاعق يستولى عليه .. أراد أن يخطو بضع خطوات فى أى اتجاه فوجد نفسه يذهب فى كل اتجاه بلا خطوات .. تحرك إلى المرآة .. نظر فيها فما وجد إلا فراغا .. أى حلم هذا ؟ .. أتراه لا يزال نائما يحلم أنه يقظان ؟ أم يقظان يتوهم أنه نائم ؟ ....لا . لا ليس هذا هو الحال هذه المرة .. إنه ليس حلما .. إنه حقيقة .. واقع .. اقترب من الفراش يفحصه .. لم يجد نفسه نائما فيه .. فالفراش خال تماما .... لماذا كل هذا الهلع وكل هذا الذعر ؟ .... لقد مرت عليه مواقف شبيهة بهذا ، فعندما كان كثير السفر دائم الترحال ، كان يستيقظ فى جوف الليل ، لا يدرى أين هو نائم ، ولا يعرف ما الذى جاء به إلى هذا المكان .. وكان الربط بين الأحداث والمكان يستغرق كثيرا من الجهد والوقت ، يقضيهما فى حالة من انعدام الإحساس بوجوده حتى يصل إلى الإجابة السليمة .. لقد صادفه هذا كثير من قبل .... لكن هذه الحالة الجديدة غريبة جدا بالنسبة له . فهو لم يجربها من قبل .. لم يسمع بها ولا حتى قرأ عنها .. ولكن لماذا لا يدع عنه هذا الهلع الأكبر ويهدأ قليلا فربما تتضح الأمور .. فليفكر

بهدوء .. أين جسده ؟ .. فليبدأ بجسده ..

، بحث ... فى كل مكان بحث .. بحركات مذهولة مصعوقة بحث .. فى كل ركن فتش .. لكن بلا فائدة ... لم يتعب .. لم يكل .. فكل حركاته وانفعالاته لم تستنفذ أى جزء من طاقته ولم تحتاج أى قدر من المجهود .. وكان هذا فى حد ذاته شيئا مذهلا أيضا . فدائما ماتضنيه عملية البحث ومحاولة العثور .. دائما ماتستهلك انفعالات مثل هذا الموقف مدخر طاقته وتتركه ملوما محسورا يعانى الإعياء الكامل ... ولكنه هذه المرة يستشعر إمدادا عجيبا بطاقة أكثر عجبا .. طاقة تغذية .. تملأه وتفيض .. طاقة بدت لانهائية .. لاتنقص ولاتنضب .. طاقة مستمدة من الأثير حوله .. طاقة أثيرية أبدية . المفروض أن هذا هو موعد دخول الحمام ثم الإفطار .. لكن حماما لأى شئ وإفطارا لمن ؟؟ .. إنه يشعر أنه موجود .. لكنه غير موجود ، والموجود فيه أو منه .. لم تعد له حاجة لأى حاجة .. لاسعرات حرارية .. لاماء .. لاهواء ........................

استمر النعمان فى ذهوله فترة غير محددة المساحة .. وعندما بدأ يتعود المفاجأة ويفيق من هولها .. غمره شعور غريب ملىء بالارتياح المشوب بالسعادة الغير واضحة الأسباب الغير محددة المعالم ..

بهدوء وباسترخاء .. أخذ يبحث عن جرائد الصباح .. وجدها تحت الباب حيث اعتاد البائع أن يتركها .. تفحصها ، فوجدها مكتوبة بلغة ضعيفة ركيكة ككتابات الأطفال .. كانت العناوين تتحدث عن مواضيع بالية كما لو كانت أحداثها قد وقعت منذ قرون طويلة خلت .. وكانت

الصور التى تلطخ بياض الورق ، تبدو كانعكاسات خيالات فى بهو للمرايا المضحكة فى مدن الملاهى .. حتى الملابس جاءت غير مألوفة كما لو كان مرتدوها قد جاءوا من كوكب آخر ...

تحول إلى « التليفزيون » .. فإذا بشاشة الجهاز لاتستجيب وتثبت على صورة واحدة تئز أزيزا مزعجا كما لو كانت لأسراب من الجراد تتهيأ لاجتياح العالم لتقضى على الأخضر واليابس .

انقلب إلى المذياع .. فإذا به لايعمل .. جرب كل المحطات ، فوجدها لاتصدر سوى صفارة متصلة مملة لكنها ذكرته بصفارة الأمان التى كانت تطلقها أجهزة الإنذار إبان الحرب .. صفارة أمان مفاجئة أوقفت حربا ضروسا .

الأمان ، الأمان ، الأمان ... الأمان الذى ما استشعره يوما ، بدأ يعرف معناه ويتذوق طعمه .. انتهت إلى الأبد الارتباطات السخيفة ، ذهبت بلا رجعة الاشتباكات اللعينة ... ياللراحة ويالللطمأنينة .. لقد تحلل من كل الارتباطات وأعفى من كافة الاشتباكات ، كمحكوم عليه بالسجن مدى الحياة فوجىء بعفو شامل فى وقت غير متوقع ، فخرج من السجن لينعم بالحرية وليهنأ بالأمان .. وعندما تذوق طعمهما ، وعرف حلاوتهما وطلاوتهما .. ذهب خاطره أول ماذهب إلى رفاق السجن وتمنى أن ينعم الله عليهم بمثل ماأنعم عليه فهم حقا مساكين .. لقد ذاق على أيديهم الأمرين ، وكان ويله منهم ويلين .. ولكنهم فعلا مساكين .. ليتهم يعرفون .. ليتهم يتفهمون .. ليتهم يصدقون .

## (٢) ✷ رفـــاق الســـجن

البحث الذى تقدم به للجنة .. استولى عليه السيد الوكيل ، وأهداه لابن السيد الوزير ليحصل به على درجة علمية ترفعه إلى مصاف النوابغ والنابهين .. ومن فرط جهلهم تحدثوا عن طبيعة البحث فى وسائل الإعلام ، وقاموا بنشر مقتطفات منه فى بعض المجلات منسوبا لابن السيد الوزير .. وبعد النشر وبعد المناقشات .. أفاقوا واكتشفوا أن البحث عبارة عن جزئين .. كان الجزء الأول فى حوزتهم .. أما الجزء الثانى - الجزء العملى ويحتوى على التجارب والقراءات والنتائج - فقد كان فى حوزة النعمان .. وعندما طالبوه به .. ضحك من طرافة الموضوع ، وامتنع عن تسليمه لهم .. واستخدموا كل الوسائل والأساليب ولكنه رفض كل التهديدات وقاوم كل الضغوط .. وجاءوه يوما ، وفى أيديهم بعض الصور والأوراق... كانت الصور والأوراق بمثابة فضائح موثقة تدين بعض زوجات الأصدقاء وبعض بنات معارفه من المراهقات .. وفى البداية أبدى عدم اهتمام ولامبالاة .. فما شأنه بنساء مستهترات وفتيات لامباليات تصرفاتهن تستوجب العقاب .. واغتاظوا غيظا شديدا .. فما كان منهم إلا أن لوحوا ببعض مافى أيديهم لزوجة أعز صديق له .. وقصوا عليها قصة البحث وموضوع الجزء الأول والجزء الثانى .. وهرعت المرأة إليه ، واعترفت له أنها أخطأت يوما ما .. ثم تابت إلى الله واستقامت منذ زمن طويل ... وتشعر أن الله قد قبل توبتها وغفر لها .. فماذا تفعل إذا ما نبشوا قبور ماضيها ، وأخرجوا رمم خطاياها ، وعرضوا على الملأ مدفون عوراتها .. ماذا تفعل ؟ .. إن الموت أهون بلا شك من فضيحتها أمام أطفالها وزوجها ..

كانت مرتاعة ملتاعة .. وانتقل الروع واللوعة إلى النعمان .. فقد كان تركها للفضيحة أكثر قسوة من الحكم بالإعدام ..

وفى هدوء .. اتصل بهم .. وأعلن موافقته على تسليمهم الأوراق ، وطلب منهم مهلة من الوقت حتى يتسنى له تجميع أوراقه المبعثرة وتبويبها حتى لايقعوا بجهلهم فى أخطاء فادحة .. وحدد لهم موعدا .. ولم يحزن ، فالمهم إنقاذ الأصدقاء والمعارف من هذه الوحوش الضارية ، والأكثر أهمية أن البشرية ستستفيد حتما بتجاربه وأبحاثه .. أما على رأس من ستوضع الأكاليل .. فهذه قصة أخرى .. فكم من أكاليل وضعت - ولاتزال توضع - على رؤوس الجزارين ..

كلف أحد موظفيه الثقاة بأعمال النسخ والتنقيح وترتيب الأوراق .. وتابعه عن كثب .. حتى إذا ماانتهى .. استبقى الأوراق لديه حتى يحين الموعد المضروب .. وهكذا ، رقد الجزء الثانى من البحث آمنا فى مكتب موظف لايعرف قيمته ولايفهم جدواه ..

كان الموعد .. هو اليوم .. يوم ذكرى مولده .. ترى مالون وجوههم الآن ؟ ..............................................

**« ريرى » .. أيا سلالة خاصة من ذرية إبليس .. لقد انتهت المطاردات المشبوبة ووضعت لها نهاية جديرة بنهايات الملاحم ..**

انتهى الهجوم المكثف - بكافة الأسلحة - والذى كان يضعف النعمان أمامه رويدا رويدا .. لقد نفذ بدمه وبجلده منها .. لن يتعرض بعد الآن لهذه النظرات التى تصرخ بالنداء وبالعواء .. لن يحاصر فى مكتبه مسلوب

اللب مبهور الأنفاس بفعل العطر القوى النفاذ .. ولن يبحث عن مهرب من الاقتراب المثير والاحتكاك المصادِف .. لن يقتحم كيانه رنين التليفون فى الصباح الباكر أو فى منتصف الليل ولن ينساب الصوت الناعس عبر الأسلاك ، تشكو صاحبته العطش والحرمان .. تهاجم تردده .. تستصرخ رجولته .. تستجدى شهامته .. انتهى كل هذا .. وستبحثين إن آجلا أو عاجلا عن صيد جديد يا « ريرى » .

..........................

أما أنت يا « شيماء » .. فلك الله .. صدمة جديدة . ولم تفيقى بعد من صدمتك الأولى .

..........................

طار منك حلم حياتك يا « حافظ بك » ... لن يقام مشروع المجمع الغذائى الدوائى ..

إن « حافظ بك » رئيس المدينة ، هو المتحكم فى تصاريح إنشاء المشروعات الجديدة . ولابد لأى مشروع بعد أن يستنفذ كل دراسات الجدوى والموافقات المبدئية أن يحظى بموافقته النهائية على إقامته بالمدينة بحجة حماية المدينة من التلوث .. من الضوضاء .. من الازدحام ... إلخ . عندما وضع النعمان الخطوط العريضة للمشروع وعرضه على صفوة الأصدقاء .. رحبوا جميعا بهذا الفتح المظفر فى هذا الميدان الجديد .. معلبات غذائية من مزروعات متوفرة لها مفعول الأدوية المعالجة .. فبدلا من تناول الدواء والحقن واللبوس.. ماعلى المريض إلا أن يتناول غذاء معينا ، معلب بطريقة خاصة ، معالج بوسائل جديدة .. غذاء سهل الهضم .. سريع المفعول ..

زهيد السعر .. تناوله لفترة بسيطة يقضى على المرض ويُكْسِب الجسم مناعة لفترة طويلة قادمة ، والأهم من هذا كله .. لم يعد هناك مايسمى بالآثار الجانبية .

سهر النعمان ، قرأ ، درس ، بحث ، جد .. وجد . وجهز أغذية بسيطة تقاوم أعصى الأمراض وأفتكها .. جرب على الحيوانات ، ونجح ما أسماه الغذاء الدوائى .. ولم يبح بسر تجاربة ولاأبحاثه هذه المرة فقد علمته تجربته مع السيد الوكيل ووزيره .. علمته الكثير ..

وفى النهاية .. رحب حافظ بك بالمشروع وأثنى عليه .. ولكنه كان يعطى من طرف اللسان حلاوة ثم يروغ كما يروغ الثعلب .

فى النهاية .. اتضح مايريده « حافظ بك » .. كان يريد نفسه شريكا فى المشروع وإلا فلا وألف لا .. على أن يكون شريكا مستترا ويتم توقيع عقد الشركة باسم زوجته .. حاول النعمان أن يفحمه بحجة أنه يحتاج لشريك تتوفر لديه السيولة النقدية ..فرد حافظ بك أن زوجته تمتلك الكثير .. وحاول النعمان ثانية .. فرد حافظ بك . وحاول ثالثة .. فرد « حافظ بك » . وأخيرا وافق النعمان على مضض بعد أن أعيته السبل واشترط لتوقيع العقد وجود خطاب مصادقة من أحد البنوك الكبيرة باسم الزوجة حتى يتأكد من جدية موقفها المالى ..

باعت الزوجة - على عجل - كل ماتمتلك من أراض وعقارات من أسهم وسندات وحصص فى شركات أخرى وجمعت أموالها فى أحد البنوك .. وتهيأ « حافظ بك » وزوجه تماما للمشروع الجديد ولم يأبها بالخسائر التى منيا بها عند بيع ممتلكاتهم بهذه السرعة ..

كان موعد توقيع عقد اتفاق الشركة وإشهارها .. هو اليوم .. يوم ذكرى مولده .... أى نوع من النظرات ترمقك بها زوجك الآن يا حافظ بك ؟ ................

....................................

أما بخصوص المجلس الوطنى .. هذا المجلس الذى يشرف على صناعة الأغذية المحفوظة .. فلقد كاد أعضاء المجلس ورئيسه أن يجثوا على ركبهم وأن يعفروا جباههم فى ثرى الأرض يرجونه أن ينشر تكذيبا أو حتى تعديلا .. ولكنه كان يرى أن ما يريدونه فى الحقيقة اسمه « تضليلا » .. فكلهم ضالعون .. متواطئون .. منهم من تواطأ بالاشتراك الكامل .. ومنهم من تواطأ بالإهمال الجسيم .. لقد فعلها المحرر بهذه الصحيفة واسعة الانتشار ، وحقق بها خبطة صحفية رائعة .. صحيح أنه أُسْتُخدِم فى هذه الخبطة ولكنه كان استخداما ذكيا يدعو إلى الإعجاب ..

كان موضوع التحقيق الصحفى يدور حول صناعة الأغذية المحِفوظة .. وكان من الطبيعى أن يتناول التحقيق آراء المسئولين فى هذه الصناعة الحيوية ، وأفضل خبرائها وكبار منتجيها أيضا .. كان المسؤولون والخبراء والمنتجون جميعا هم « المجلس الوطنى » .. تناول التحقيق جوانب عديدة .. الاستيراد .. المواصفات .. المواد الحافظة .. مكسبات الطعم .. المعالجة الكيميائية .. التسعير .. تاريخ الصلاحية .. احتياج الأسواق .. خطط الإنتاج .... كل شىء تقريبا .

وبعد أن أنهى المحرر حديثه مع أعضاء ورئيس المجلس الوطنى طلب منه حديثا فى نفس الموضوعات دون أن يخبره بما قاله الآخرون .. واصطحبه

النعمان معه إلى مصنعه وشرح له كل شيء على الطبيعة .. وسأله المحرر نفس الأسئلة .. وأجاب النعمان بمنتهى الصدق وبكل الأمانة .. وتم نشر التحقيق .. ووضعت كل ردوده وإجاباته بجوار إجابات السادة المسئولين والخبراء وكبار المنتجين .. وقام المحرر الداهية بعمل مقارنات ذكية بين الإجابات بعضها البعض .. وقامت الدنيا ولم تقعد .. فلقد كانت إجاباته تفضح الكثير .... توضح كل شيء وتعرى الجميع وحاول رئيس المجلس أن يرد . ولكن المحرر الذكى كان يسأل النعمان فى كل صغيرة وكبيرة .. يستمع جيدا .. يستجلى الغموض .. يقارن بين المعلومات .. يفرق بين الغث والثمين .. ولاينشر إلا الاجادة القول وصحيحه .

ووقع أعضاء المجلس ورئيسهم فى عدة ورطات متتابعة ، لم يكن من السهل إنقاذهم منها إلا لو كتب النعمان نفسه تعديلا لآرائه وتصحيحا للمعلومات التى سبق وأدلى بها .. وأسقط فى يده .. إن فعل ، فهو كاذب مدلس .. وإن لم يفعل فقد أساء للجميع .. واستعدى عليه قوى وأحقادا لاقبل له بها ... حوصر حصارا عنيفا .. وتدخلت الدولة ضده تتهمه بالتسبب فى كساد اقتصادى وتدمير « سيكلوجى » وإحباط معنوى لقوى الشعب المحبة لكل ما هو معلب . وراعه أن يكون سببا فى كل هذا .

كان فى نيته أن يكتب اليوم – يوم ذكرى مولده – التصحيح المطلوب نشره حتى ينهى هذا الانهيار الاقتصادى المزعوم .. هذا الانهيار الذى بدأ بالمجلس الوطنى .. والذى كان من المحتم أن ينتهى به هو شخصيا .. حمدا لله لن يكتبه..........

...........................................

كان السيد المندوب لديه قناعة كالإيمان بأنه يتهرب من تسديد مستحقات الدولة .. وأن مايقوم بتوريده بالفعل لايتجاوز نسبة ضئيلة من المبالغ الواجب سدادها ، وبالتالى طالب مندوب الضرائب بحقه الشخصى فى الجزء الذى اعتقد أنه يغض الطرف عنه .. وألح وهدد وتوعد .. ثم تحولت العملية إلى استجداء صريح مثير للأعصاب .. فالمندوب يريد أن يتزوج وأهل العروس يحملونه مالا طاقة له به .. وبالرغم من عدم ارتياح النعمان لأقواله ومعاذيره إلا أنه رثى لحاله وبالرغم من ضخامة المبلغ الذى طالب به المندوب .. إلا أن النعمان قرر أن يدفعه حتى يتخلص من هذا الإلحاح المذل المهين الماثل أمامه ..

كان فى نيته أن يسلمه المبلغ عندما يجيء إليه غدا .. لكن كيف ؟ .. واليوم – أصبح كما تمنى – .. يوما بلا غـــد ..

................................

## (٣) * الرحم

والآن .. وبعد هذا المشوار الطويل ، والذى انتهى هذه النهاية المفاجئة .. الغير متوقعة والغير محسوبة ولكنها نهاية سعيدة على أية حال وبأى مقياس .. هل كان يعيش حقا مسرحية هزلية عبثية ؟؟ ...

لقد كان يستنكر اللحظات التى يفكر فيها فى عبثية الحياة وعدم جدواها وفى حيويتها المبطنة بالفناء .

وكان يرى الاستسلام لمثل هذا التفكير .. تحطيم للأمل وقعود عن النضال المقدس فى الحياة وكان يسخر ممن يسخر من زيف نضاله وعدم جدوى حروبه مع الآخرين .. وبالرغم من اتضاح كثير من الأمور .. إلا أنه لن يسخر من سخريته بهذه السخرية .. فالسخرية لم تعد تستهويه .. لكن أكانت حقا مسرحية هزلية عبثية ؟؟ ..

إنه يجد الرد صعبا .. فهى عبثية من جانب .... جادة للغاية من جانب آخر .. والانطباع المتكون لدى المشارك فيها يختلف عن الانطباع المتكون لدى المراقب لها .. بل إن المشارك فيها يختلف حكمه وفقا لدوره الذى لعبه فيها ، والمراقب لها يختلف إحساسه وفقا للجانب الذى ينظر منه .

فهو يجدها فى ذاتها .. كغاية .. عبث فى عبث .. هزل فى هزل .. فناء فى فناء .

ولكن الوجود فيها .. كوسيلة .. إنما هو هبة أو منحة لايصح تبديدها والعبث بها والتفنن فى تلطيخها وتلويثها واستخدامها فى غير محلها .. وإلا تحول كل فرد فيها إلى « فرانكشتين » رهيب .. كمحافظ بك .. كريرى ...

كأفراد ورئيس المجلس الوطنى .. كالسيد الوكيل ووزيره .. كالـ .. كالـ .. لن ينتهى الحصر ..

لقد كان هو نفسه يتحول فى كثير من المواقف إلى مخلوق قريب الشبه من هذا الـ « الفرانكشتين » .. مخلوق دائم التربص للانقضاض .. يود من صميم قلبه أن ينطلق من كل القيود وكافة الضوابط .. دائم الترقب مستمر التوجس يستميت فى إظهار عدم الامتنان ... يحلوله أن يردد متفلسفا — أمام خاصته — أن الدنيا تخاصمه وتضطهده باستمرار ولا تختصه إلا بمؤخرتها تدسها بإصرار فى وجهه وتحكم وضع إستها بين فتحتى أنفه ...

ولكنه مازال يجد الرد صعبا ... أكانت هزلا وعبثا ؟؟ ...... لا يستطيع أن يجد ردا كاملا .

ولكن على الأقل أصبح يعرف فيما كان عبثه هو وهزله هو ..
كان عبثه .. فى الإنتظار .. إنتظار ردود أفعال الأقدار .
وكان هزله .. فى التوقع .. توقع الرد المنطقى الفورى .

لماذا لم يخالجه هذا الشعور القوى الفياض ، بأن كل شىء مختزن .. وعندما تحين النهاية الحتمية .. تجىء البداية العادلة ؟ ......

..................................

وبدأ يشعر بشىء يحتويه .. يضمه .. يضغط عليه كما لو كان حملا يجثم عليه ، ليس من فوقه .. ليس من تحته .. ولكن من كل النواحى ، ومن كافة الاتجاهات .. وكلما زاد الضم .. زاد ألمه وعذابه .. وبالرغم من محاولاته للافلات وبالرغم من الحرية التى يتمتع بها وبرغم خفة حركته

ومطاوعة نفسه له للتوجه بها كيفما يشاء أينما يشاء .. إلا أن الضغوط الواقعة عليه لم تتغير .. كما لو كان موجودا داخل مايشبه الرحم .. وتملكه فجأة مايشبه الإلهام ، أن له رغبة أخيرة من حقه أن ينفذها .. لايدرى كيف جاءه هذا الإلهام ولامن الذى أوحى به .. لكنه كان موجودا .. حسنا . إن له بالفعل رغبة أخيرة يتمنى تحقيقها .. كم يود أن يلقى بنظرة أخيرة على مصنعه - مصنع حفظ وتعليب الأغذية - .. قادته رغبته على الفور إلى مصنعه الذى بناه بكده ورواه بعرقه .. ووجد نفسه فى غرفته التى طالما أطل منها على مكاتب موظفيه وعلى ورش عماله ..

ياالله .. كم تغيرت الأمور .. لقد كان يعرفهم جميعا معرفة جيدة .. بالاسم والملامح .. لكن الأسماء تاهت الآن .. والملامح شاهت .. إقترب أكثر .. لقد تغير شكل الأنف والعينين ... وأصبحت الوجوه ، صورة واحدة متكررة متشابهة .. وحل محل الصدر ، شاشة تشبه شاشات العقول الالكترونية المكتبية .. لكنها مجسمة الصورة .. تعمل بطريقة مذهلة .. لم تفطن سكرتيرته « ريرى » إلى وجوده ولم تهرع إليه كعادتها ....

بدا الأمر كما لو كان الكل قد انهمك فى حديث جاد خطير .. واستهوته مشاهدة الشاشات . كانت كل شاشة تبدأ فى العمل عندما يبدأ صاحبها فى الحديث .. يطل منها وجه يبدو مألوفا ولكنه لايعرفه .. كان الوجه يتلون بين لحظة وأخرى .. تعجب من تعدد الألوان .. فوجه المتحدث يتحول فجأة من اللون الأخضر إلى الأصفر .. ثم يتدرج بين كل الألوان فى فترة زمنية وجيزة .. من الأصفر إلى الأزرق إلى الأسود ثم إلى الأزرق فالسماوى فالأزرق ثانية ثم إلى الأخضر الغامق ، فالأخضر الزرعى الذى

مايلبث أن يتحول إلى الأصفر الذى يصبح برتقاليا فأحمر دمويا ثم إلى اللون الأرجوانى الذى يبهت تدريجيا حتى يصير أبيض ، وفجأة يتحول البياض إلى سواد كئيب ، ويدوم السواد طويلا ، طويلا .. الأمر الذى زاد من شعوره بآلام ضم الرحم الذى يحتويه ...

كان الكل يتحدث .. يجادل .. يناقش .. وكان عدد المستمعين أقل من عدد المتحدثين .. فالشاشات كلها تعمل تقريبا ، تطل منها وجوه أصحابها .. وياله من « كرنفال » للألوان .. استمر يرقب .

وحدث شيء غريب .. لقد ذهب اللون الأسود من كل الشاشات .. وابيضت جميعها .. وبدأ يتعرف على وجوه المتحدثين بل وأصواتهم أيضا .. لقد كانوا جميعا .. جميعا .. يقرأون فاتحة الكتاب ..

وبدأ النعمان يشعر بالهدوء والطمأنينة ، وباسترخاء لذيذ ممتع .. وازداد شعوره بالاسترخاء فتحول إلى شعور بالتلاشى .

وتذكر فجأة الرمالة – الساعة الرملية – العتيقة الطراز التى ورثها عن أبيه واستقرت فوق زجاج مكتبه حتى هذه اللحظة . وشعر بنفسه كحبات رملها .. تنساب وتتسرب من الفتحة الضيقة حبة وراء حبة .. من الجزء العلوى إلى الجزء السفلى .. إن الحبات الأخيرة تتناقص بسرعة .. لم يتبق منها سوى حبات معدودة .. هرعت هى الأخرى إلى أسفل .. وتبقى فى النهاية .. الفراغ الأثيرى .. ورقد الثرى ساكنا فى القاع .. وما أشبهه بثرى يرقد فى قاع نهر ثائر فياض بالخير وبالشرور جميعا .. تشاهد حياته سريان النهر فوقها .. إندفاعه .. صخبة .. هديره .. ولا تبالى .. عندئذ فقط .. هدأ واستراح .. هجع واستكان .. من عرف باسم النعمان .

# الألم

كان يغط فى استغراق عميق وبنغمات رتيبة عالية .

وكانت الأحلام المزعجة التى يحلم بها تبدو واضحة جلية على محياه المجهد وتقاطيع وجهه العابسة .

انتفض مستيقظا فجأة على صوت صفعة قوية .. تلفت حوله .. لم ير شيئا .. بحركة لا إرادية مد يده يتحسس قفاه .. اختطف نظرة سريعة إلى المنبه الموضوع بجوار الفراش وجد الساعة تقارب السابعة .. اعتراه شعور مبهم بأنه لم يأخذ كفايته من النوم وأن المنبه يغشه .. عاوده صوت الصفعة القوية .

نهض مجبرا من الفراش .. احتفى به الذباب والناموس وصاحبه فى الطريق إلى الحمام .. فتح الصنبور وجعل ينتظر وصول الماء بصبر نافذ .. جاء الماء على هيئة بصقات متتالية ، وألوان متباينة .. سمع صوت الصفعة القوية مرة أخرى .. تناول الصابونة ذات الإعلان التليفزيونى والسعر النارى وعاوده صوت الصفعة من جديد .. أنهى مراسم حمام الصباح وغادر المنزل إلى مقر عمله .

وقف ينتظر الأتوبيس .. انحشر بداخله .. لاحظ كهلا يضايق فتاة جامعية .. شعر بالاختناق .. توالت على سمعه وبدنه الصفعات ، رتيبة مكثفة منظمة ، وبدأ قفاه يؤلمه .. أخيرا توقف الأتوبيس .

توجه إلى مكتبه .. قابل رئيسه فى إحدى الممرات .. رد رئيسه تحيته بلا مبالاة .. سمع الصوت مرة أخرى .

قضى يوما مملا رتيبا فى العمل وانتهى اليوم كسابق الأيام .

غادر عمله .. عاود رحلته إلى المنزل .. وعاد شريط الأحداث يكرر نفسه من جديد .. نزل من الأتوبيس قريبا من منزله والألم يلازمه .. تناول غذاءه .. لم يستسغه .. سمع الصوت من جديد .. استلقى فى استرخاءة قصيرة .. حاول أن يقرأ خلالها الجريدة ، ولكن الصوت الذى يتردد سماعه فى كل سطر كان يؤلمه .

غفا قليلا ثم استيقظ على أصوات آلات التنبيه فى الشارع وعاوده الألم .

حاول أن يتسلى بمشاهدة الحركة فى الشارع من إحدى النوافذ لكن أتربة الهواء وعوادم السيارات لم تمكناه من الاستمرار فدخل .

حاول أن يشاهد برامج التليفزيون ولكن الصوت إياه لم يتركه . استمر متفرجا متألمـــا .

انتهت البرامج .. توجه إلى فراشه .. انتهز فرصة لم يطرقه فيها صوت الصفعة ولم يعاوده فيها الألم .. فنام .

فبراير ١٩٨٧/

# أمـــــــــر إدارى

* يعدم السيد المهندس / عبد الله صالح الدرويش ............

.........................................................

* يتولى السيد / ...........................................

.........................................................

* ينفذ هذا القرار اعتبارا من ...........................

.........................................................

* صـــورة للعلم لكل من :

- ..................

- ..................

- ..................

- ..................

- ..................

يعتمد

السيد / رئيس الجهاز ...

مهندس / محمود طمطم

خرج المهندس/ عبد الله الدرويش مكفهر الوجه من غرفة السيد رئيس الجهاز ( محمود بك ) .

بدون شك إن « محمود بك » ليس فى أفضل حالاته اليوم ، إذ يبدو أنه يعانى من إجهاد بدنى وعصبى شديدين من تأثير مرض السكر وضغط الدم المزمنين معه ، واللذين ينشبان مخالبهما فى جسده وأعصابه بعنف وقسوة أكبر مما يتحمل الرجل ، وإلا لماذا جعل يحدثه بهذا الأسلوب الذى لم يألفه منه وبهذه الألفاظ التى لم يعهدها فى مفردات كلماته ، ولماذا كل هذا الغضب والحدة التى بدت كما لو كانت هناك نقمة شخصية وثأر بات مريرا بين محمود بك وبينه لماذا يرفض مجرد المناقشة ؟ ، ولماذا يشتط فى تصوراته واستنتاجاته ؟ ، ولماذا أصبح يخشى إصدار أى قرار واضح فى أى موضوع ، بل ويتهم كل من يطلب منه قرارا أو رأيا أنه يتعمد أن يحرجه أو يورطه ؟ ...

ترى ما الذى أصاب « محمود بك » هذه الأيام ؟ ..

إنه مسئول عن جهاز كبير ، حساس وخطير . وهو يمارس هذه المسئولية بدرجة وزير ، ولديه كل الصلاحيات التى تمكنه من إدارة « دولاب العمل » بمنتهى الكفاءة ، ولقد كان يديره كذلك بالفعل فى بداية توليه . ولكن كم تغير بمرور الأيام .هل أصبح يخشى إلى هذه الدرجة على منصبه ؟ .. هل أصبح كرسيه أهم عنده من مصلحة العمل وحسن سيره ؟ ... لقد صار أكثر قلقا وأسرع شكا ، وانعدمت ثقته فى مرءوسيه خاصة ذوى الكفاءات منهم ، وأصبح سماعا للوشاية محبا للنميمة ، ثم قام مؤخرا وبدون أية مقدمات بتجميع كل الصلاحيات فى يده وحده . وفى

الأيام القليلة الماضية أصبح يتخذ القرار بعد معاناة طويلة وبعد تردد محير ، فإذا همس أحدهم فى أذنه بما يريبه أو يشككه اتخذ على الفور قرارا مضادا ومعاكسا للقرار الأول بلا أى ترو وبلا أى حيطة بالرغم مما يؤدى إليه تغير القرارات وكثرتها وتعارضها من تخبط لسير العمل وتشتت للأفراد ، .. يبدو أن الرجل أصبح مولعا بالإدارة من خلال موجات ذبذبات الإهتزاز ، وبات يعشق تأرجح قراراته - وبالتالى تأرجح مَنْ حوله - مع منحنى الاهتزاز الجيبى .

ترى هل آلام المرض ومعاناته هى السبب المباشر فى عدم قدرة الرجل على اتخاذ أى قرار سليم ؟ . أتوجد حقا علاقة بين تصاعد شدة المرض عنده وبين ازدياد حدة التخبط فى قراراته ؟ .

من الممكن طبعا أن تكون هناك علاقة ما .. لكن مهلا .. إن مثل هذه الأمراض - الضغط والسكر وحتى أمراض القلب - أصبحت سهلة الاكتشاف فى بدايتها ، وأصبح من الميسور تشخيص أعراضها فى مراحلها الأولى ومن ثم محاصرتها قبل استفحال أمرها ، وحتى لو تأخر التشخيص بعض الشيء ، فان أصحاب المناصب الكبيرة يجدون دائما الرعاية الطبية المكثفة ، توفرها لهم الدولة بكل مؤسساتها وبالمجان فى الداخل والخارج ، فَتَقَدُّمْ وسائل العلاج وتقدم الرعاية الطبية جعلا من مثل هذه الأمراض أمراضا يسهل التعايش معها وبها .. فما بال « محمود بك » هذه الأيام . أتراه مريضا بشيء آخر غير هذا الذى يعرفه الجميع .؟ .

ماذا لو كان مريضا بمرض من الأمراض صعبة الاكتشاف ، أو التى يخجل الناس من مجرد المجاهرة بها ؟ . نحن نعيش فى بلد يقول الناس فيه

على المريض أنه « بعافية » ، فماذا لو أصيب رجل « كمحمود بك » بمرض مثل « الالزهايمر » مثلا ؟؟ .

ستكون دعابة ثقيلة حقا ، أو نوعا من « الكوميديا السوداء » .

إن هذا المرض فى أبسط وصف له هو عدم القدرة على التركيز ، وفقدان الذاكرة التدريجى ، والنسيان المستمر لمفردات الكلمات ومعانيها ، وإلقاء تبعة الخطأ على الغير فيما يشبه العودة إلى مراحل الطفولة الأولى . وأخطر ما فى هذا المرض أنه يصيب الكبار ومن بيدهم القرار - كبار الموظفين ، المثقفين ، الفنانين ، الأدباء ، السياسيين- فهو مرض خاص بأصحاب الطموحات الكبيرة والصعبة والتى يتعثر أصحابها فى تحقيقها فيتعرضون للإحباط تلو الإحباط وتكون النتيجة أحيانا هى الهروب من الواقع إلى المجهول إما بالنسيان وإما بتصور الصواب خطأ وتوهم الخطأ صوابا .

والآن ، إلى أين لو كان « محمود بك » مصابا بمثل هذا المرض فعلا ؟؟ .

من يقدر على تعليق الجرس فى رقبة القط ؟ ...
ومن سيقول للغول إن عينيك حمراوتان ؟ ...

لم يتمالك عبد الله الدرويش مشاعره ، فابتسم وانفرجت أساريره وهو يحتسى قهوته عند صديقه مدير مكتب « محمود بك » الذى أصر وأقسم بأغلظ الأيمان ألا يدعه يغادر المكان هكذا ، مكفهر الوجه منقبض

الأسارير . حقا من سيقول للغول إن عينيك حمراوتان ؟ .. إن مثل هذه المقولة هى بالقطع نوع من الإلقاء بالنفس إلى التهلكة ..

ولكن فلنفترض أن كبار المسئولين فى إحدى المؤسسات أو أن أعضاء مجلس إدارة شركة ما أصيبوا بدرجات متفاوتة بمرض مثل هذا فى إحدى مصادفات القدر الساخرة ، والتى كثيرا ما تحدث ، هل ستحقق هذه الشركة أية أرباح ؟ . وهل ستؤدى تلك المؤسسة أية خدمات حقيقية ؟ .. قطعا الرد معروف سلفا .

ولكن الغير معروف ، متى ستتوقف أكذوبة أن مؤسسات الخدمات لا بد أن تخسر خسائر فادحة لأنها بلا عائد وبلا دخل ، ومتى ستتوقف « فلكلورية » إن الشركات لا تحقق أية أرباح لأن أسعار المنتجات تفرض من فوق وأن المنافسة فى الأسواق غير عادلة . إن توقيع الكشف الطبى على المسئولين عن هذه القطاعات كفيل بتفسير معظم هذه الخسائر ، وفضح أغلب أسباب تقهقر الخدمات .. إن الـ « إلزهايمر » « رابض هناك فى عقول الكثيرين ....

ولكن الحقيقة أن القضية لها شقان .

الشقق الأول يتعلق بعملية اختيار المسئولين الاداريين فى القطاعات المختلفة عن طريق الأقدميه المطلقة ، فلماذا لم يتم حتى الآن الفصل بين الترقية بسبب الأقدمية المطلقة لكى تكون ترقية دورية لزوم أكل العيش وبين الترقية الإدارية التنفذية من أجل إدارة مواقع الأعمال ودفع عجلة الإنتاج بلا عقد ، بلا أمراض فى وقت أصبحت العقد والأمراض ترفا لا تتحمله دولة ابتلاها الله ببعض النوعيات العجيبة من البشر .

أما الشق الثانى وهو الأكثر أهميه فهو ما يحدث أحيانا عندما يتم اختيار المسئول أو المدير بناء عن ماضيه المشرف وخبراته النادرة ، فدائما .. دائما ، يبدأ المسئول أو المدير ، إدارة عمله بمنتهى الحكمة والكفاءة ، وتراه وهو يدير دفة سفينته بمهارة تدعو للإعجاب ، وبلا مقدمات تجده وقد بدأ ينسى بعض الأمور ، ثم يزداد معدل النسيان ، ثم يفقد القدرة على التركيز وتجده أثناء حوارك معه يرد ردودا بعيدة تماما عن موضوع المناقشة ، وتجد البديهيات آخر شيء يتم التوصل إليه ، ثم تراه يفقد ثقته بنفسه وبمن حوله ومن هنا تبدأ المأساة الحقيقية فهذا الـ « إلزهايمر » يختار ضحاياه فى توقيتات عجيبة فبالتدريج المصر المثابر يتحول البعض من قائد ورئيس وزعيم إنتاج إلى ما يشبه الثقوب السوداء فى الفضاء الخارجى . ويتحول البعض من محرك ودافع لعجلة الإنتاج إلى « قبقاب » فرامل للعجلة ذاتها ومن روح تنفخ الحماس فى مرؤوسيه إلى شاهد قبر يتوارى فى كرسيه الفخم خلف مكتب ضخم كنصب تذكارى للجندى المجهول ترقد تحتضر فوق زجاجة عشرات القرارات وتدفن فى أحشائه خامدة الانفاس عشرات التقارير والدراسات ، يزوره مرءوسوه فى الأعياد والمناسبات لوضع باقات الزهور ترحما على روح الفقيد . وتتوالى الخسائر وتزداد عاما بعد عام .

وبعد كل هذا يصدر القرار بمد خدمة السيد السنة تلو السنة ... ... .. لتعود الوفود تهنيء وتزور الكرسى الضخم القابع خلف المكتب الضخم كنصب تذكارى للجندى المجهول ......

– هل قرأت هذا الحادث ؟ .

أفاق « عبد الله » من خواطره ، والتفت إلى صديقه فوجده يناوله

جريدة « الأهرام » وقد طواها باحتكام ليظهر خبرا معينا من أخبار الحوادث .

تناول « عبد الله » الجريدة وجعل يقرأ الحادث ثم علق فى النهاية .

- يا للقسوة ، ما الذى جرى للناس .. هل تم إلغاء كلمة الرحمة من قاموس البشر ؟ .

ولكن الصديق كان قد انشغل عنه بالرد على إحدى « التليفونات » العديدة التى يزدحم بها مكتبه فلم يشاطره أسفه ولا دهشته .

كانت الجريدة لا تزال بيد « عبد الله » ، وكانت مطوية بحيث يظهر أمامه نصف الصفحة الداخلى ، وبحركة تلقائية ، قام بلف الجريدة وأخذ يطالع أخبار الرياضة .

**كان قد انتهى من احتساء القهوة وكان على وشك أن ينحى الجريدة جانبا عندما لفت انتباهه خبر صغير لا يتعدى الأربعة أسطر .. « اجتاز أمس بنجاح ، حكام كرة القدم فلان وفلان وفلان اختبارات ( كوبر ) التى عقدت بمنطقة .... « . استوقفه الخبر ، فأعاد قراءته مرة ثانية ، وعاد إلى خواطره من جديد . إن حكام الكرة يخضعون لكشف طبى دورى حرصا على عدم تعرضهم لإجهادات زائدة ، ومن أهم أسباب هذا الحرص هو مخافة أن يتسبب الإجهاد فى عدم متابعة الحكم للكرة عن كثب ، وبالتالى عدم القدرة على اتخاذ القرار السليم . وأقصى ما يتمتع به الحكم من سلطان فى الملعب هو أن يلغى هدفا سليما أو أن يحتسب هدفا غير سليم ، أو أن يطرد لاعبا ، أو حتى ثلاثة ، ونادرا ما ألغى حكم مباراة ،**

وإن فعل فهذا أقصى حدوده خلال تسعين دقيقة كل عدة أيام وأحيانا كل عدة أسابيع .

وحكام الكرة غير مسئولين عن ميزانيات شركات وغير مسئولين عن خطط مؤسسات تقدر بمليارات الجنيهات . ولا هم مسئولين عن دفع عجلة الإنتاج لقطاعات تمثل العمود الفقرى لا قتصاديات دولة بأكملها . يا إلهى .. كم نحن فى مسيس الحاجة إلى نوع آخر من الـ ( كوبر ) .. كوبر إدارى مثلا ، يكون الغرض منه الكشف على المسئولين الكبار فى المراكز الحساسة وخاصة الإنتاجية منها ، ولا بأس من السياسة أيضا ، حتى نتجنب كثيرا من الخسائر التى تصل أحيانا إلى حد الكوارث . ( كوبر ) يكون الغرض منه اختبار القدرات العظيمة والذهنية على فترات دورية حتى لا يتسلل الـ « إلزهايمر » ليصبح يوما هو المسوغ الرئيسى للتعيين فى المراكز القيادية . لكن .. من يستطيع أن يقول للغول إن عينيك حمراوتان ؟ .. إن أفضل شىء هو .....

- هنيئا القهوة ..... « قالها الصديق باسما » .

ورد عبد الله بود - هنأك الله .. سأغادر الآن إلى الورش ، سأتصل بك صباح الغد ، إن كان « محمود بك » معتدل المزاج .. أخبرنى حتى أحضر ... سلام .

غادر عبد الله جناح رئيس الجهاز ، مشتت الفكر ، موزع الخواطر . وفى طريقه إلى المصعد ، وجد نفسه أمام دورة المياه وأحس برغبة - بدت له غريبة فى مثل هذا الوقت - فى الدخول لقضاء حاجة عرضت ، ولم يستطع عبد الله أن يتخلص من إلحاح هذه الرغبة الغريبة ، فدخل .

ولم يستطع كذلك أن يمحو عن نفسه آثار الحوار الذى دار بينه وبين « محمود بك » منذ دقائق ليست بالبعيدة .

كان الهدوء والسكون يخيمان على المكان ، وكانت فوهات مواسير التكييف المركزى تعمل بلا ضجيج وبكفاءة تامة جاعلة من المكان بيتا للراحة بالفعل ، إلا أن الأفكار والخواطر لم تترك عبد الله يهنأ بهذه الراحة ....

لماذا تترك مقابلة اليوم كل هذا الأثر السىء فى نفسه ؟ . إن العلاقة الخاصة بين « محمود بك » وبينه ، كذلك هذه المكانة المميزة التى اختصه بها لشفيع كاف « لمحمود بك » أن يأخذ على خاطره هكذا ، وأن يغضب بهذه الكيفية ، فبما أن « محمود بك » يميزه عن كل زملائه فله الحق إذن أن يحاسبه حسابا يفوق كل زملائه أيضا ، ولكنه حقيقة لم يفعل أى شىء ولم يؤت بأى تصرف يستوجب الحساب ، وإن كان « محمود بك » يميزه بأن يتركه يدخل عليه دون موعد سابق ودون حتى استئذان ، وإن كان يثق به ويعطيه بعض الصلاحيات الإدارية الاستثنائية لإدارة موقعه ، وإن كان يعجب به بعض الشىء ويشيد أحيانا بقراراته وتصرفاته ، فإن كل هذا ليس من أجل سواد عينيه بل مرجعه الأساسى هو أن الانضباط قد عاد للمكان الذى كان بمثابة مصدر دائم للصداع ، ليس بالنسبة « لمحمود بك » فحسب ، ولكن بالنسبة للجهاز كله ، فما دام العمل يسير أفضل مما كان بمراحل وما دامت إنجازات القطاع الذى يرأسه تفوق المستهدف فى أكثر الخطط طموحا ، لماذا لا يعجب به « محمود بك » ولماذا لا يشيد به مادام الشكر ، ينصب فى النهاية على رأس « محمود طمطم » شخصيا .

لكن هل ميزه « محمود بك » حقيقة عن باقى زملائه ؟ ..

إن « محمود بك » لم يميزه بأى شيء ذى قيمة .. بل لم يساعده حتى فى تصحيح أوضاعه الظالمة وضحك عليه ، وأساء إليه أكثر مما أفاده .. ألا لعنة الله على هذه الذكريات المزعجة .

أحس عبد الله فى هذه اللحظة أن حرارته قد أخذت فى الارتفاع بسرعة ، وأن وجهه كذلك قد جعل يحتقن بشدة ، وحاول أن يهدىء من روع نفسه ... على الأقل إنه أفضل حظا من غيره ،

فله عمل يحقق ذاته فيه ، ويفيد بلده منه ، وبالرغم من الإجهاد الشديد الذى يسيطر عليه فى نهاية النهار إلا أنه يشعر دائما بإشعاعات غريبة من السعادة ، تملأ جنباته وتنطلق من داخله وترفرف حوله عندما يجلس فى المساء بين زوجته وأولاده ويتذكر المشاكل التى قام بحلها أثناء النهار والصعوبات التى قام بتذليلها فى الصباح .

ولكنه وبالرغم من محاولاته فى تهدئة خواطر نفسه ورفع معنويات ذاته ، إلا أن ذاكرته بدأت تقفز به إلى الخلف تذكره بأحداث مريرة ظن أنه نسيها وتحيى تفاصيل دقيقة فى مواضيع مقبضة ظن أنه سلاها .

تذكر يوم أن كان يعمل بالإدارة الفنية منذ قرابة الأربع سنوات ، وتذكر أول لقاء فعلى له مع « محمود بك » عندما أثيرت مشكلة الخراطيم « الهيدروليك » ذات الضغط العالى والمطلوبة بصفة عاجلة لبعض الوحدات ، وتذكر كيف ثار الرجل يومئذ ثورة عارمة بسبب تعطل الوحدات وكيف تدخل هو وقد تصادف وجوده أثناء النقاش الحاد وكيف اقترح حلا بسيطا سهلا أذهل « محمود بك » نفسه الذى شكره فى التو

بحرارة ، ثم استدعاه فى اليوم التالى ليناقشه على انفراد فى نفس الموضوع وأخذ النقاش يتطور ويزداد إيقاع تبادله حول إحدى التفاصيل الفنية التى يحلو « لمحمود بك » الإيهام بأن القرار فيها كان قراره .

وفجأة اعتدل « محمود بك » فى كرسيه الوثير الضخم جدا بالنسبة له وقال لمرؤسه — دع عنك هذا الموضوع الآن ،

أريدك لأمر أكثر أهمية من هذا

— تفضل سيادتك .

— أريدك أن تتولى مسئولية الإشراف على قطاع الصيانة والعمرات .

— .........

— إنك كفء وقيادى ، وقطاع الصيانة يحتاج لوجود من له سابق خبرتك ومن له مثل شخصيتك .

أنت طبعا تعرف أن هذا القطاع هو القطاع الرئيسى عندنا ، وتعرف كذلك أن هناك كثيرا من الوحدات المتوقفة تماما خارج الخدمة ، والعمل يسير ببطء شديد وبإهمال وتسيب أشد ، لقد سألت عنك وعرفت الكثير ، وما عرفته يؤكد لى أن اختيارى فى محله وأن ثقتى فى موضعها ، .. أليس كذلك ؟ .

— ..........

— لا تخشى شيء ، سأقف وراءك بكل قوتى ، وسأساندك بكل خبرتى ، ويمكنك أن تعتبر نفسك رئيسا لهذا القطاع بدرجتى أنا فأنت تمثل محمود طمطم شخصيا لك كل صلاحياته ولك كل إمكانياته .... المهم أريدك أن تعرف الآتى ...

وانطلق « محمود بك » يحدد طبيعة المهمة التى يتمنى أن يوافق عبد الله على توليها بكل الاقتناع وبكل الحماس أيضا .

كان العمل المطلوب من الأعمال التى تحتاج إلى تركيز شديد طوال النهار ، وإلى مجهودات مكثفة وتخطيطات محكمة طوال الوقت ، إلى حسن إدارة ، وإلى حلو حديث . كان عملا ترتبط فيه النواحى الفنية بالنواحى الإدارية التى يمتزج فيها الحزم بالتسامح ، والتى تمتزج فيها الشدة مع اللين ، ويمتزج فيها اتخاذ القرار السريع بثبات وشجاعة الشباب الجرىء مع دقة وحكمة الشيوخ المخضرمين .

وتذكر عبد الله كيف شعر بالامتعاض الشديد فور أن عرض عليه « محمود بك » هذه المسئولية الكبيرة ، وتذكر أيضا كيف كان يفكر فى تلك اللحظات ...... إن الرجل يعرض عليه مسئولية مزعجة ، عمل مرهق بلا أية مميزات ، وإجهاد مستمر بلا أية بدلات أو حتى مكافآت . سيكون حملا كبيرا بلا داع وبلا مقابل . لقد كان يحب عمله فى الإدارة الفنية ، ويؤديه باستمتاع وهو جالس يجرع الشاى تلو الشاى ويحتسى القهوة تلو القهوة مسترخيا فى الهواء المكيف ، الدافىء شتاءً ، البارد صيفا ، فما الداعى الآن وبعد أن أصبح يخطو خطواته الأولى فى مرحلة الأربعينيات من عمره إلى العودة إلى الشقاء فى مواقع الأعمال ، ألا يكفيه شقاء الستة عشر عاما الماضية ، ألا يشفع له ماضيه الذى قضاه فى شبه اغتراب دائم ، هل سيعود للعمل من جديد بين الزيوت والشحوم وبين الوقود والعوادم .. أبعد هذا الهواء المنعش صيفا ، المهدىء شتاء يعود إلى استنشاق الأتربة والرمال ، أبعد روائح البرفانات وضحكات الشفاة المخضبة بالأحمر بدرجاته وغمزات

العيون بمعانيها وتأودات القدود بإيحاءاتها يعود إلى رائحة العرق وروائح الأنفاس المفعمة بخلاصات روائح البصل وتجشآت تفاعلات الفجل والثوم ... أف .

ويبدو أن شيئا من هذا الامتعاض قد ظهر على محياه ، فلقد صمت « محمود بك » فجأة وتفرسه مليا ثم سأله - متى سيحل دورك فى الترقية ؟ .

وتذكر عبد الله كيف أنه لم يفكر ثانية واحدة ، بل انطلق يرد على الفور ، تعلن لهفته على شرح وضعه ، وتتابع الكلمات على شفتيه عن مدى معاناته الشخصية من مسألة الترقية ، ولم تنفع خبرته ولا عمره ولم يفلح ذكاؤه ولا فراسته فى تحذيره وتنبيهه . كان قد ابتلع الطعم بالفعل .

وأخذ يشرح بالتفصيل المستفيض كيف تم ترقية دفعته فى التخرج على سنتين متتاليتين وفقا لترتيب الأسماء ، وكيف أن هذا الترتيب قد تم وضعه فى بداية التحاقهم بالعمل على أساس مجموع درجات تخرجهم من كلياتهم ثم صار هذا الترتيب قاعدة للأقدمية بغض النظر عن عطاء كل منهم طوال السنوات الماضية ، وكيف أنه قد ظلم ظلما بينا عندما سبقه زملاء له من نفس دفعته ، واستحى أن يضرب له مثلا ممن ترقوا وهم لا يستحقون الترقية واكتفى بأن يعلن عن أمله فى أن يتم تصحيح هذا الوضع الظالم ليعود فيلحق بركب الزملاء .

وتذكر أيضا كيف أنه فجأة بدأ يعى ، وكيف بدأت عملية الصبح التى عاشها خلال الدقائق الماضية تنقشع وتزول ، وكيف بدأت الابتسامة الصفراء التى تتلاعب على شفتى محدثه تفصح عن معناها وعن مدلولها ، فأمسك لسانه وصمت مطرقا بينما كان ذهنه يعمل بكل ما أوتى من قوة

وسرعة وبكل ما وهب من فطنة وذكاء ..... حسن ، إن هذا الداهية الجالس أمامه يستدرجه ويغريه ما المانع ؟ .... إنه على أتم استعداد لبذل كل طاقاته وتنفيذ كل الأعمال التى يطلبها منه إذا وعده بتصحيح أوضاعه ورفع هذا الظلم عن كاهله .. فلتقم بتقديم عرضك إذن يا « محمود بك » ستجدنى مستمعا جيدا . ورفع رأسه ونظر إلى الرجل الذى كان يختتم إحدى نوادره بخصوص حركات الترقيات ، وضحك « محمود بك » وضحك معه عبد الله مجاملة ، وماتت الضحكة فجأة كما ولدت فجأة ، وجذب « محمود بك » نفسا عميقا وتنهد ثم قال كمن يصدر تعليمات لها قوة القانون ،

- سيتم ترقيتك فى أول العام مع دفعتك .

ورد عبد الله مأخوذا - حقا ؟

- نعم ، سأفعل هذا ، فى الحقيقةأنت تستحق أكثر من هذا .

- لا يمكننى أن أعبر عن مدى امتنانى يا أفندم .

- هذا موضوع بسيط ، اعتبر نفسك قد رقيت بالفعل ..

وسادت لحظة صمت قصيرة قطعها « محمود بك » بعد أن عاوده تجهم وجهه الذى أفصح عن تذكره لشىء كئيب بغيض - نعود الآن إلى المهم ... أريدك أن تقبض على قطاع الصيانة بيد من حديد .

- بعون الله سأفعل .

- أريدك أن تقضى على « القباضايات » ورؤوس الفتنة و « كومبينات » الفساد وتتحمل كل الصعاب بجلد وحكمة .

- ستجدنى إن شاء الله من الصابرين .

- « جدع » .. قالها « محمود بك » وهو يعود بكرسيه إلى الخلف وقد اتسعت ابتسامته .

وتذكر عبد الله كيف فهم فى هذه اللحظة أن الرجل يريد أن ينهى المقابلة عند هذا الحد فنهض من مجلسه ، وسأل بأدب ..

- متى تريدنى سيادتك أن أبدأ ؟ .
- بعد يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير .. هناك بعض الترتيبات اللازمة .. على العموم سأصدر « أمر إدارى » .

وحيا المرءوس رئيسه باحترام شديد وغادر المكان .

يا للمرار .. فكلما تذكر المجهود الذى بذله والذى ما يزال يبذله حتى هذه اللحظة ، وكلما تذكر كيف مرت عليه أيام الترقية الموعودة وقد نسى « محمود بك » كل كلماته وكل وعوده ، ووضعه الذى لم يتم تصحيحه حتى الآن ... كلما تذكر هذا شعر بمرارة كالعلقم لا تملأ فيه فحسب ولكن تملأ كيانه كله ، مرارة تمتد لتجلب ظلمة غريبة تغزو الدنيا أمام عينيه .

وليت الأمر انتهى عند هذا الحد ، فلقد استتبع هذا اتخاذ « محمود بك » لتكتيك غريب أثناء مقابلته لسبب ما أو أثناء مناقشته فى أمر ما كان كأنما يتعمد ألا يدع له أية فرصة أو مجال للحديث عن الترقية الموعودة ، فاستمر لفترة طويلة يبادئه باللوم وبالتأنيب ، ويتهمه بالتخاذل وبالتقصير بسبب وبدون سبب ، حتى إذا ما استغرقهم الحوار حول أحد المواضيع الفنية يعود « لمحمود بك » لطفه وظرفه ، ويزول عنه تجهمه وتهجمه ،

وتعود الابتسامة السعيدة لترتسم على محيا السيد الوزير رئيس الجهاز ، ويعود لسانه ليلهج بمدح مرءوسه ، يؤازره فى قراراته ويمتدح تصرفاته . ولكن « محمود بك » لم يكن اليوم - واليوم بالذات - كسابق عهده معه ، فما يكدره شيء غير عادى وغير طبيعى ، فهو لم يخفف طوال الحديث من عنف لهجته معه ، ولم يفارقه تجهمه لحظة واحدة ، ولم يفلح عبد الله فى إقناعه بصواب تصرفاته وجدوى قراراته ، بل لقد جد جديد لم يخطر له على بال ، إن « محمود بك » بدأ يسيء فهم نواياه ويخطىء فى تفسير دوافعه ويبرر تصرفاته تبريرا خطيرا . لقد بدأ يظن أنه يتعمد إحراجه ، وبدأ يعتقد أنه يتعمد وضعه فى مواقف صعبة ويتعمد خلق مشاكل لا حل لها . وحاول عبد الله بكل قواه خلال دقائق المقابلة هذا اليوم أن يبدد سوء الظن هذا ، وأن يفند هذه الآراء والأفكار الهدامة ويجليها عن رأس « محمود بك » إلا أن محاولاته جميعا ذهبت هباء .

يبدو أن هناك أصابع خفيـة وضمائر غير سوية تكيد له عند الرجل ، فلقد كان يبدو اليوم كما لو كان « كمبيوتر » مبرمج بأفكار ثابتة وآراء محددة لا يحيد عنها ، الأمر الذى أشعره باليأس .. لا بأس ، سيحاول غدا ، وإن غدا لناظره قريب . فليكف عن التفكير الآن ، وليتوقف عن القفز فوق أشواك القلق وليبتعد عن هموم الذكريات ، وليسارع بالعودة إلى عمله فلقد تأخر كثيرا .

وغادر عبد الله دورة المياه إلى المصعد ..

وأثناء انتظاره وصول المصعد ، لمح الأستاذ « مأمون » المسئول عن شئون الأفراد يقترب منه . وحياه عبد الله ، ولكن « مأمون » لم يأبه برد

التحية ، بل اقترب منه بخطى سريعة وهو يحمل فى قبضة يده بضع وريقات لفت بعناية بالغة .

وابتسم له عبد الله مرجبا فى إعزاز ، ولكن تقطيبة « مأمون » لم تفارقه وسأله بجدية يشوبها التوتر ..

- هل قرأت هذا ؟

وفرد أمامه ورقه بحجم « الفولسكاب » ... وحاول عبد الله أن يقرأ ..

## « أمـــــر إدارى »

– يندب السيد المهندس / عبد الله صالح الدرويش من عمله كرئيس لقطاع الصيانة والعمرات للعمل فى جرد أرشيف الإدارة الـ .....

– ... ... ...

– ... ... ...

– ... ... ...

........

........

وشعر عبد الله بالدهشة الشديدة فى بادىء الأمر ... ثم بدأ يستوعب .

أراد أن يصرخ محتجا ، ولكن صوته خرج كحشرجات مخنوقة مقهورة وهو يغمغم فى ذهول تام ،

– جرد إيه ، وأرشيف إيه ؟؟ .

وعاد إلى الورقة للتأكد من التوقيع الذى يذيلها ، فوجد الأمر الإدارى قد تم اعتماده من محمود طمطم شخصيا فهمس وقد تملكه واحتواه يأس مثلج – هو حر ....

ورد مأمون بإشفاق صادق – لقد حاولت معه .. والله والله حاولت معه .. وقلت له سنخسره ولكنه نهرنى وأمرنى بالصمت .

وشعر مأمون بالأسى ، فلم يسبق له رؤية عبد الله بهذه الحالة من قبل .. كان يشيد به ويعجب به ويسدى له النصح دائما فى مجال الأفراد ،

ولكنه الآن لا يعرف ماذا يقول له ولا كيف يهون عليه ، فهو يقدر الزلزال العنيف الذى يزلزل كيان عبد الله من الداخل فى هذه اللحظات والذى كان يتضح جليا فى احتقان وجهه ووهن صوته ، فآثر أن يتركه وحيدا حتى يتمالك نفسه ، فاستطرد قائلا :

- سأترك لك صورة ....

ولم يرد عبد الله وإنما تناول الصورة بآلية ، ولم يتبين على وجه اليقين متى تركه مأمون وحيدا أمام المصعد .

وعاد ينظر فى الورقة وقد إسودت الدنيا فى عينيه أو بالأصح ابيضت أمام عينيه ، فكل شيء أصبح يراه كالصفحة البيضاء حتى الورقة التى يمسك بها والتى تتضمن الأمر الإدارى أصبحت بيضاء تماماً أمام ناظريه ، بيضاء ولكن بها كل السوء ، فإن ما لطخت به هذه الورقة من سطور سوداء كئيبة الشكل ، قبيحة الكلمات ، قميئة التوزيع غادرة المعانى ، بآلة كاتبة مشوهة الأحرف ، صماء المشاعر والأحساسيس شأنها شأن من أملى هذه السطور ، لهو السوء ذاته .

ورغما عنه وجد نفسه غير قادر على إعادة قراءتها ، أو حتى إعادة قراءة سطرها الأول مرة ثانية شأنه شأن من يتلى عليه حكم بالإعدام قبيل التنفيذ مباشرة ، فكيف يستعيده أو يسترجعه والتنفيذ يتبع التلاوة مباشرة .

وتأرجحت الورقة أمام عينيه ، أو بتعبير أدق تأرجحت ورقصت عيناه بين أسطر الورقة .

وبلا تفكير ، ودون أن تتلقى يده أية تعليمات من عقله الواعى ،

أخذت هذه اليد تقبض على الورقة بعنف ، تلملمها وتضغطها ، تعتصرها وتكورها ، تخنقها وتخمد أنفاسها ، حتى إذا ما استحالت إلى كرة صغيرة بحجم كرات تنس الطاولة تركتها تسقط على الأرض ، وبلا تفكير ، ودون أن تتلقى قدمه أية تعليمات من عقله الواعى هذه المرة أيضا ، وبينما تتسارع الكرة الورقية إلى الأرض ، قامت هذه القدم بركلها بالحذاء بعنف لتستقر وسط البساط الأحمر ، ولم يفكر للحظة واحدة ، ولم يخطر له على بال أن يضعها فى سلة المهملات ..

ماذا يفعل الآن.؟ .. كيف يتصرف ؟ ..

هل يعود إلى عمله ؟ .. أين هو عمله ؟ ..

هل سيقع مغشيا عليه ؟ .. هل سيموت الآن ؟ ..

هل يغادر هذا المبنى الملعون الذى تهدر فيه أبسط حقوق الإنسان ويعود إلى بيته ليجلس ويبكى كما تبكى النساء ؟ ..

ما هى خطوته القادمة ؟ .. وفى أى اتجاه ؟ .. إلى أين يخطو بقدميه فى هذه اللحظة ؟ ..

هل يعود أدراجه ويقتحم مكتب هذا الجبان ، يسبه ويلعنه ويبصق فى وجهه ؟ .. لماذا تعمد أن يصدمه هكذا ؟ .. لقد كان أمامه منذ دقائق قليلة .. لماذا لم يعلنه .. لماذا لم يخبره ؟ .

لو كان قال له « إن دورك انتهى فى هذا المكان ، وأريدك لعمل آخر » لمانبس معترضا ببنت شفة ، ولقال له على الفور — حاضر .. فقط أرجو إمهالى يومين لأرتب نفسى .

إن الأمر الإدارى واجب التنفيذ اعتبارا من الغد .. فلم كل هذه العجلة ؟ .

أى كراهية ؟ أى بغض ؟ أى غل ؟ .. أى ؟ ؟ ؟ ؟ .. بالله .. ترى ما اسم العاطفة التى تمكنت من الرجل وجعلته يصدر الأمر بهذه الطريقة ؟

ما الذى يجعله يصدر أمرا إداريا هكذا .. سريعا ، سريا ، مباغتا ، كما لو كان الهدف كل الهدف هو محاصرته ومداهمته ثم القضاء عليه قضاءً مبرما قبل أن يعى ما يحدث له ، وكما لو كان هذا الوعى سيمكنه من المقاومة أو حتى مجرد الاعتراض .

إنه لم يسرق ، ولم يختلس ، ولم يتهاون ، ولم يعتد .. فلماذا يريد أن يفقده الاعتبار أمام الجميع ؟

إن الأمر الإدارى قد صدر بكلمات ظاهرها البراءة ومضمونها الانضباط والسيطرة على مجريات الأمور ، ولكن النظرة المتفحصة للكلمات تجدها حبلى بالمعانى البغيضة ... والفهم المتأنى للمضمون يجده مشبعا بالإيحاءات اللئيمة الكريهة التى تلقى ظلالها الكئيبة على المفعول به الذى هو فى نفس الوقت المفعول فيه والمفعول لأجله .

أما عن الفاعل الذى أخرج الأمر الإدارى بهذه الصورة فقد تعمد أن يكون الأمر الإدارى من الأوامر ذات الطراز الخاص ، هذا الطراز الذى يصدر عقب الفضائح الإدارية أو الذى يصدر فور وقوع الاختلاسات المالية والتى غالبا ما يعقبها تعبئة الإدارة القانونية لتنفيذ التوجيهات النيابية .

إنه فعلا أقرب ما يكون للضبطية القضائية عن كونه أمرا إداريا

وإن شئت فقل إنه أمر إدارى طراز « حرامى »

نعم لقد تعمد الرجل أن يصدر له أمرا إداريا طراز « حرامى » ولا يمكن تسميته بأى اسم آخر ولا يمكن وصفه بأى وصف ثان .

سبحان الله ... لماذا كل هذه الخسة فى التصرفات البشرية ؟؟ .

ولماذا كل هذه الوضاعة فى الإجراءات الإدارية ؟؟ ..

لماذا عندما تتجمع جزيئات الفحم وتتركز تتحول إلى ماس ذى بريق أخاذ ، يخطف الأبصار ، يحبس الأنفاس ، ويستخرج آهات الإعجاب ، ولكن عندما تتركز السلطة التنفيذية وتتجمع الحرية الإدارية تتحول إلى « كاليجوليه » مقيته ، تخزق الأبصار ، تكتم الأنفاس ، وتطلق آهات الألم ، « كاليجوليه » مدمرة ، تخرب كل شىء وتدمر كل ما يعترض طريقها ، تستمد طاقتها التدميرية من اندماجية نووية ، من المنطقى بل ومن المحتم أن تدمر فى انطلاقها المجنون كل شىء حتى صاحبها ذاته جلالة الامبراطور « كاليجولا » .

هل يعود له و .... وجاء المصعد وتوقف أمامه كمركبة فضاء أتت على غير موعد من كوكب آخر ، وفتح الباب وحياه « عبد العظيم » عامل المصعد ودعاه للتفضل بالهبوط معه ، فخطا إلى الداخل ، وهوى المصعد إلى أسفل .

كان المصعد يمتلىء بالموظفين بالرغم من عدم انتصاف اليوم . وبدأ يخامره شعور قوى بأن كل من بالمصعد ينظر إليه نظرات تمتلىء بالشماتة والتشفى . وتصاعد حنقه وغيظه من كل شىء وبدأ يلعن فى سره كل من حوله .

... ألا لعنة الله عليكم يا عبدة الأوثان ، يا أكلة لحوم البشر .. لعنة الله عليكم .. دا ئما يضيع الحق بينكم .. ودائما ، ودائما ، يبقى الجبان الإمعه حتى النهاية ليتلقى الأوسمة والنياشين بينما يكون التراب قد أذاب أجساد من هم أولى بالتكريم وبالتحية .

ولفظ المصعد الجميع عند أدنى مستوى له .

وسار عبد الله عائدا إلى موقع عمله الذى كان ، والذى لا يبعد كثيرا عن مبنى الإدارة .

وهاجمته خواطره من جديد ، وبطريقة جديدة أيضا ...

كان كمن صدر عليه حكم بالإعدام رميا بالرصاص ، ولم يستطع أن يدافع عن نفسه لأنه لم يعرف أن الحكم قد صدر إلا بعد أن سمع صوت طلقات الرصاص وهى تنطلق متجهة إلى رأسه وصدره وكانت الطلقات فى الهواء تندفع نحوه بجنون البارود المحموم منفذة الحكم الظالم ، وعندما أن يفتح فمه ليحتج ويدافع عن نفسه لم يزد عن قوله « آه » لأنه — ببساطة — كان قد مات فعلا ، أو كمن أخبر باختياره لمهمة رسمية عاجلة ، فأيقظوه فى ظلمات الليل الموحشة ، وأركبوه طائرة « هليكوبتر » أقلعت على الفور ، وعندما استقرت فى مسارها فوق السحاب ، أخرج أوراقه للتحضير والاستعداد للمأمورية ، وقبل الانتهاء تماما من بلورة الموضوع ، فتحوا باب الطائرة وحملوه حملا وألقوا به من الباب قائلين فى عجلة — لقد ألغيت المأمورية ....

تلفت عبد الله حوله وقد هىء له أنه يسمع ضحكات عالية ، وظن

أن هناك من يسخر منه ويهزأ به ، تجول بعينيه حوله فلم يقدر على رؤية أحد . أتراها الشمس ، أم السحب ، أم الأشجار ، أم هو ثرى الأرض ؟؟ ...

وبدأ يشعر بصداع أليم لئيم يغزو رأسه ، وبدا له الأمر كما لو كانت هناك غازات مضغوطة تتفاعل وتتوالد داخل رأسه ولا تجد لها مخرجا ، وأن هذه الغازات ستصدع عظام جمجمته لو لم تجد لها متنفسا .

يا لله .. أبعد أربع سنوات من الجهد المضنى والعمل الخلاق بلا يوم راحة واحدة - اللهم إلا العطلات الرسمية - يكون هذا جزاءه ...

ماذا فعل ؟ . ماذا جنت يداه ؟ . أى ذنب ارتكب ؟ ..

هل أخطأ عندما اشتد على الجبابرة ولان مع الضعفاء ، شدة من غير عنف ولين من غير ضعف ..؟

هل أخطأ فى عدم التهاون وتمسكه بالأمانة المطلقة مع بعض الكبار .. ؟ .

حتى لو فرض أن هذه هى الأسباب ، أيكون هذا هو الجزاء ؟ . جزاء سنمار ..

سنمار .. ترى أين روحك الآن ؟ فأنا أريد الحديث معك . هل تعلم أنهم كانوا رحماءً بك .؟ .

لقد أعدمت يا سنمار مرة واحدة ، ألقوا بك من أعلى شاهق بَنَيْتَه فى لحظة غدر ساخرة ، ووقفوا يقهقهون بينما يتسارع جسدك البائس إلى قدره

المحتوم فى لحظات ذعر أليم يعجز الإنسان عن وصفها وكيف يصفها ولم يسبق لبشر أن جربها وعاد ليحكيها ..

ولكن هل تصدق يا سنمار أننى أجرب وأعيش الآن لحظات ألم قد تفوق لحظات ذعرك الأسطورى ، لقد جربت يا سنمار ما جربت مرة واحدة ، لحظة خاطفة من الزمن ، ولكننى أعيش الآن لحظتك الخاطفة فى كل ثانية من ثوان عمرى وفى كل نفس من أنفاس حياتى اللعينة التى تتشبث بى بالرغم من زهدى فيها .

هل تعلم أنهم قد كرموك خير تكريم عندما أخبروك أن السبب فى إعدامك هو ألا تبنى قصرا ثانياً يشبه قصر الملك . ولكننى لم أخبر بأى شىء فى أى شىء . فقط أقرأونى وريقة - أخترعت بالتأكيد أيام محاكم التفتيش ، فى العصور الوسطى - كتب فى أولها « يُندَب » ، ولكنهم حتى فى هذه كانوا كاذبين . لقد كان من المفروض أن يكتب « يُعْدَم » بدلا من يندب فهذا الوصف هو الأدق وهو الأصدق .

كان عبد الله قد اقترب من الباب العمومى لورش الصيانة .

وكانت آلام رأسه قد اقتربت من نقطة اللاعودة .

ودلف عبد الله من الباب وسار فى الطريق المؤدى إلى مكتبه .

وفجأة ، حدث شىء غريب عجيب ، لم يصدقه من شاهده بنفسه ولا من رآه بعينى رأسه .

لقد انفجر رأس عبد الله .

انفجر الرأس ، وتطايرت شظايا المخ فى أرجاء المكان ، لتغوص بسرعة غريبة فى الثرى ، ولتنبت مكانها على الفور نباتات عديدة من الحنظل والصبار .

نباتات كئيبة كالحة .. غمرت المكان .. ولا تزال تغمره حتى الآن ..

ونفذ عبد الله الأمر الإدارى ...

يوليو ١٩٨٨

# « شكر »

## أتوجه بالشكر لكل من :-

| | |
|---|---|
| ( ١ ) الأستاذ / شوقى عمارة | أعمال المراجعة |
| ( ٢ ) الأستاذ / على مندور | أعمال المراجعة |
| ( ٣ ) المهندس / عصام متولى | أعمال المراجعة |
| ( ١ ) السيدة / نوال ضيف | للسكرتارية والآلة الكاتبة |
| ( ٢ ) السيدة / سميه عبد الرحيم | للسكرتارية والآلة الكاتبة |
| ( ٣ ) السيدة / منى سالم | للسكرتارية والآلة الكاتبة |
| ( ٤ ) الأستاذ / محمد عبد المنعم | للسكرتارية والآلة الكاتبة |
| ( ١ ) السيد / محمد عروق | أعمال التصوير |
| ( ٢ ) السيد / محمد زيدان | أعمال التصوير |

كما أتوجه بشكر خاص للعاملين بمطابع وزارة الثقافة

محمد محمود الزيـــات

# الفهـــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة
رمزي السيد شعبان

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٩٦٩٤ س ١٩٩٢ - ١٠٠٠

